المراجع العربية العامة والتراث

دكتور
عبد التواب شرف الدين

الدار الدولية للنشر والتوزيع

اهداءات ٢٠٠١

الدار الدولية للنشر و التوزيع
القاهرة

المراجع العربية العامة والتراث

تأليف

دكتور/ عبد التواب شرف الدين



الدار الدولية للنشر والتوزيع
القاهرة — ج. م. ع



الطبعة الأولى
1998م
المراجع العربية العامة والتراث
تأليف
د. عبدالتواب شرف الدين

رقم الإيداع
98/2476
I.S.B.N
977-282-039-0

الدار الدولية للنشر والتوزيع

8 إبراهيم العرابى - النزهة الجديدة - مصر الجديدة - القاهرة - ج.م.ع.
ص.ب: 5599 هليوبلس غرب / القاهرة - تليفون: 2957655-2972344 فاكس : 2957655 -00202

تم صف وإخراج وتجهيز هذا الكتاب بقسم الكمبيوتر بـ «الدار الدولية للنشر والتوزيع»

المحتويات

مقدمة

إن دراسة المراجع العربية من المقررات الهامة التي ينبغي على الطلاب الإلمام بها، ليس فقط على طلاب التعليم الجامعي بل ينبغي أن يلمّ بها طلاب التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي .

ودراسة المراجع العربية والتراث من أهم ما يعرفنا على التراث العربي في كافة المجالات .

ومنذ بداية تدوين التراث والتأليف والترجمة العربية وعلماء العرب يبدعون في إخراج الكتب وتأليفها وذلك لإفادة طلاب المعرفة .

وفي نهاية القرن الرابع للهجرة قام محمد بن إسحق المعروف بابن النديم بجمع قائمة بالكتب العربية التي تم تأليفها وترجمتها منذ بدأ العرب في التأليف والترجمة حتى نهاية عام 377 هـ. ولولا هذا الكتاب ما علمنا عن الإنتاج الفكري العربي شيئًا في الأربعة قرون الأولى للهجرة وخاصة أن الإنتاج الفكري تعرض للحرائق والفتن والحروب وما ترتب على ذلك من ضياع أو فقد أو سرقة .

ولقد أبدع العرب في مجال حصر الإنتاج الفكري العربي بعد ابن النديم، ولم يكن ابن النديم أول من فكر في تسجيل قوائم بالإنتاج الفكري العربي ولكنه أول من قدم لنا محاولة منظمة مصنفة للإنتاج الفكري .

كما أبدع العرب في إعداد مراجع اللغة والقواميس اللغوية وكذلك في الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والطب وغيرها من العلوم والمعارف العربية .

لهذا فإن المستشرقين المولعين والمغرمين بمعرفة حضارة العرب سارعوا في التفتيش عن التراث العربي وبدأوا ينشرون المؤلفات العربية والمراجع العامة والتراث.

فمن ذلك مثلاً ما قام به المستشرق بروكلمان عندما نشر كتابه بالألمانية بعنوان «تاريخ آداب اللغة العربية» نقل بعد ذلك إلى العربية ، واستكمله فؤاد سزكين، عندما وضع كتابه

تاريخ التراث العـربي بالألمانية والذي عرب أيضًا ونشـرته جامعـة الإمام محمد بـن سعود الإسلامية .

وهذان المرجـعان للتـراث العربي المخطوط؛ هذا الـتراث الذى يمثل بالنسـبة للإنتـاج الفكري العربي أهمية للبـلاد العربية والإسلامية في العالم، لهـذه كان لابد من ظهور مثل هذه الأعمال الجامعة .

أما التراث المطبوع والذي طبع أخيرًا بظهور فن الطبـاعة فإن الكتابين التاليين : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع وكتاب معجم المطبوعات العربية والمعربة هما من المراجع الأساسية التي ينبغي على الطلاب دراستها :

وقد قمت بتقسيم هذا الكتيب إلى قسمين :

القسم الأول : دراسة عن التراث العربي في العلوم الإنسانية .

القسم الثاني : نماذج من كتب التراث .

كما قمـت بوضع اختبارات تطبيقـية ليقوم الطلاب بالإجابة عليهـا والتدرب على ما جاء فيها .

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

دراسة عن التراث العربي

أولا : اللغة والمعاجم :

خصائص اللغة العربية :

لغة كل قوم، فى أى عصر من العصور، هى مظهر لعقليتهم في ذلك العصر، فهى تدل على الأفكار التى جالت فى عقولهم، وأدوات الحضارة المادية التي استخدموها، والنظم الاجتماعية التي عاشوا في ظلها. وكانت لغة العرب في الجاهلية غنية بالألفاظ وخاصة فيما يتصل بطبيعة أرضهم وأجوائهم وحياتهم المادية والاجتماعية والرعوية. واللغة العربية، بالإضافة إلى غناها اللفظي، دقيقة التعبير؛ ففيها لكل معنى لفظ خاص به، وفيها ألفاظ لتأدية فروع المعاني وأجزائها. ومن أمثلة ذلك أن لكل ساعة من ساعات النهار إسمًا خاصًا بها. وفيها ألفاظ تعبر عن ترتيب عمر الإنسان منذ تكوينه جنينًا إلى هرمه ووفاته. ونجد مثل ذلك في المعنويات ففيها كلمات تعبر عن السرور والسعادة واللهو والمرح والبؤس والخوف والفقر وكل ذلك إنما يعبر عن أحوالهم وحياتهم .

وليست اللغة العربية غنية بألفاظها فقط، بل هي غنية كذلك بقواعد نحوها وصرفها واشتقاقها. ولعلها أغنى اللغات في الألفاظ التي تعبر عن المعاني المجردة والعواطف والانفعالات .

وقد أصبحت اللغة العربية، بعد ظهور الإسلام، لغة الدين والفكر وأعانتها خصائصها التى ذكرناها على التعبير عن أدوات الحضارة المادية، والمعاني المجردة فأصبحت أداة رائعة للعلوم والفلسفة والأدب، وكانت لغة المعرفة والثقافة في العالم خلال عصور طويلة .

جمع ألفاظ اللغة :

ومنذ صدر الإسلام بدأ العلماء يجمعون ألفاظ اللغة ويرتبونها، واستمرت جهودهم طوال القرون الثلاثة الأولى. وكانوا يجمعون مفردات اللغة من القرآن الكريم لأنه أفصح اللغة العربية ألفاظًا وأبلغها تعبيرًا، كما كانوا يجمعونها من الشعر الجاهلى ومن ألفاظ أعراب البادية، وكانوا يرحلون إلى البادية، أو يتصلون بمن يقدم من الأعراب إلى البصرة والكوفة، فيسألونهم ويأخذون منهم ويدونون عنهم. وكانوا ينقدون الألفاظ ليتأكدوا من أن الكلمة صحيحة من حيث اشتقاقها من أصولها. وانقسم علماء اللغة إلي فريقين: فريق يصححون اللفظة على أساس صحة روايتها، وفريق لا يعتبرونها صحيحة إلا إذا كانت

صحيحة من حيث القياس. وقد اشتهر أهل البصرة بالقياس، واشتهر أهل الكوفة بالسماع؛ أي بالاعتماد على الروايات المنقولة عن الأعراب .

تدوين ألفاظ اللغة وترتيبها :

وقد دون بعض العلماء ألفاظ اللغة في رسائل وكتب صغيرة مستقلة، يقتصر كل كتاب أو رسالة منها على ألفاظ موضوع معين، مثل كتاب الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب النخيل للأصمعي. وكتاب خلق الإنسان لأبي إسحاق الزجاج (المتوفي سنة 311 هـ). ونظم بعض العلماء الألفاظ في معاجم عامة لا تقتصر على موضوع معين، وإنما ترتب على حسب الحروف الهجائية أو على المعاني المتشابهة أو المتقاربة. وأول من رتب ألفاظ اللغة حسب الحروف الهجائية الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (المتوفى حوالي سنة 170 هـ) وهو واضع قواعد علم العروض، أي علم أوزان الشعر وبحوره، وقد رتب ألفاظ اللغة حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالشفتين. وبدأ بحروف العين وجعل حرف العلة الآخر. ولهذا سمي الكتاب بكتاب العين. وقد أفاد من كتاب العين الأدباء واللغويون وأصحاب المعاجم فائدة كبيرة .

المعاجم اللغوية :

وقد استمر العلماء على وضع المعاجم، أو القواميس، واتبعوا أساليب مختلفة في ترتيب الكلمات. ومن أشهر هذه المعاجم: الجمهرة في اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (المتوفى سنة 321 هـ) وهو معجم مرتب على حروف الهجاء مع تقليبات الكلمة. والتهذيب للأزهري (المتوفى سنة 370 هـ) وهو مرتب على طريقة كتاب العين. والمجمل لابن فارس المتوفى (سنة 390 هـ) والصحاح للجوهري (المتوفي سنة 398 هـ)، وقد لخصه الرازي من أهل القرن الثامن في كتاب سماه (مختار الصحاح). والصحاح ومختار الصحاح مرتبان على الحرفين الأول والآخر من أصل الكلمة، أي أن الكتاب مقسم إلى أبواب بحسب الحرف الأخير من الكلمة. وكل باب مقسم إلى فصول بحسب الحرف الأول من الكلمة. فالباحث عن كلمة (علم) يجدها في باب الميم فصل العين. و(كتب) في باب الباء فصل الكاف. وقد سار على هذا النهج ابن منظور في معجمه « لسان العرب» والفيروز أبادي في « القاموس المحيط » « والزبيدي » في « تاج العروس » .

ومن المعاجم المعتبرة « المحكم » « والمخصص » لابن سيده العالم الضرير الأندلسي (المتوفى سنة 458 هـ) فأما « المحكم والمحيط الأعظم » فهو معجم كبير جامع ويشتمل علي معظم ألفاظ اللغة. . والألفاظ فيه مرتبة على ترتيب كتاب العين، ويمتاز بالضبط والدقة. وقد انتقى المؤلف الشواهد من أوثق المصادر الشعرية وغيرها. وقد اعتمد عليه الفيروز أبادي في القاموس المحيط. أما المخصص فإن مواده مرتبة حسب مواضيعها ومعانيها وليس على الحروف الهجائية .

ومن أوسع معاجم اللغة وأعظمها انتشاراً إلي يومنا هذا لسان العرب لابن منظور (المتوفي سنة 711 هـ) وقد أورد عن كل كلمة شواهد كثيره من الآيات والأحاديث والأشعار. ولسان العرب أكثر من معجم. فهو كتاب لغة، ونحو، وصرف، وفقه، وآداب وشرح للحديث، وتفسير للقرآن. وهو يقع فى عشرين مجلداً كبيراً. القاموس المحيط للفيروز أبادي (المتوفي سنة 817 هـ) وقد شرحه السيد مرتضي الزبيدى (1145 - 1205 هـ 1732 - 1790) مستعيناً بلسان العرب وغيره من كتب اللغة ومعاجمها، وسمى شرحه «تاج العروس في شرح جواهر القاموس ». وهو من أكبر المعاجم وأوثقها. ولم ينقطع التأليف في معاجم اللغة منذ فجر النهضة العربية حتى يومنا هذا: فقد ألفت عشرات المعاجم نذكر منها «المعجم الوسيط» الذي نشره مجمع اللغة العربية في القاهرة فى جزأين سنة 1960 وهو من أصح المعاجم العصرية، وأعظمها فائدة للقارئ ولما حوى من الألفاظ المعربة والاشتقاقات الجديدة والكلمات الحضارية والعلمية المستحدثة. والمعاجم العربية الحديثة ترتب الكلمات بحسب الحرفين الأولين من المادة. فالبحث عن كلمة علم يجدها في حرف العين المتبوعة باللام و(كتب) يجدها في حرف الكاف المتبوعة بالتاء. وهكذا .

ثانيا : النحو :

النحو هو علم قواعد اللغة العربية، وبه تعرف أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها. وهو يساعد على معرفة صحة الكلام وفساده. وكان العرب يتكلمون لغتهم صحيحة على الفطرة والسليقة، فلما تمت حركة التحرير وتعلم أبناء البلاد المحررة اللغة العربية دخل الفساد إلى هذه اللغة وشاع اللحن فيها، فصاروا يرفعون المنصوب وينصبون المرفوع. وكان بعضهم يخطئ حتى في قراءة آيات القرآن الكريم. وقد اهتم العلماء بهذه المشكلة، فبدأوا يضعون القواعد لضبط الكلام .

نشوء علم النحو :

وقد اختلف المؤرخون في أول من وضع قواعد النحو. فمنهم من قال إنه الإمام علي (كرم الله وجهه). ومنهم من قال إنه أبو الأسود الدؤلي (المتوفي سنة 69 هـ) ومنهم من ذهب إلى أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي بإرشاد الإمام علي وتوجيهه. ومنهم من يذكر غير ذلك. على أن الشيء المؤكد هو أن مبادئ النحو ظهرت في البصرة أولاً، ثم في الكوفة .

مذهب الكوفيين والبصريين في النحو :

كان أكثر اعتماد علماء النحو البصريين على القياس، وكانوا يهملون الشاذ الذى لا ينطبق على القاعدة. وكان أكثر اعتماد علماء الكوفة على الرواية والسماع، فكانوا يقبلون الشاذ الذي لا تنطبق عليه القاعدة، إذا كانوا قد سمعوه من العرب. وأما الخلافات بين الكوفيين والبصريين في الفروع والتفاصيل فكثيرة جداً. وقد ألفت في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين كتب عديدة أهمها: « الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » لابن الأنباري .

مدرسة بغداد في النحو :

وعندما تأسست مدينة بغداد وانتقلت الحركة العلمية إليها وفق العلماء بين نحو البصريين والكوفيين، فكوّنوا مدرسة جديدة للنحو قامت على أساس مدرستي البصرة والكوفة، فأصبح ذلك هو الأساس والمصدر لما ألف بعد ذلك من الكتب في النحو. وكانت الغلبة في مدرسة بغداد لنحو الكوفة .

علماء البصرة في النحو :

ومن أشهر علماء البصرة في النحو أبو الأسود الدؤلي، الذي ينسب إليه وضع أسس هذا العلم، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس بن حبيب (المتوفى سنة 182 هـ) وسيبويه (المتوفى حوالي سنه 171 هـ)، وقد نشأ في البصرة، وتتلمذ على الخليل ويونس بن حبيب في النحو، وألف فيه كتابه المسمى « الكتاب » وهو كتاب لم يسبقه أحد في النحو إلى مثله، وقد جمع مسائل النحو العربي، فهو يحتوي، مثلاً، على الكلام وأقسامه، والفاعل والمفعول، والفعل وما يعمل عمله وأحكام المصدر، والحال والظروف وحروف الجر والبدل

والمعرفة والنكرة والنداء والاستثناء، وما ينصرف ومـا لا ينصرف والنسبة والإضافة، والتثنية والتصغـير والمقصور والممدود، ومـزيدات الأفعال، والوقف وشروطه. ويشـمل الكتاب ما يتصل بالعربية من صرف واشتقاق وبناء وغيرها من مواضيع اللغة .

يتبين من هذا أنه كتاب جامع لكل ما يحتـاجه الطالب في قواعد النحو واللغة. ومن مشهوري علماء البصرة محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرد (المتوفى سنة 235 هـ) وأشهر كتبه « الكامل في اللغة والأدب » .

علماء الكوفة في النحو :

وأشهر علماء الكوفة فى النحو أبو جـعفر بن الحسن الرؤاسي (المتوفي سنة 235 هـ) وهو مؤسس مدرسة الكوفة ورأس علمائها. وقد غلبت عـليه الناحية الصرفية التى اهتم بها الكوفيون وتقدمـوا بها على البصريين حتى عدهم المؤرخـون الواضعين لعلم الصرف: ومن نحوييهم المشهـورين الفراء (المتوفى سنة 807 هـ) والكسـائي وهناك لقي سيبـويه وناظره وتغلب عليه، فلمع نجمه وكان ذلك فوزاً لمدرسة الكوفة في بغداد .

التأليف في علم النحو :

وضع هؤلاء العلماء أصول علم النحو ثم جاء بعدهم علماء ألفوا في هذا العلم عدداً من الكتب في بعضها ابتكار وإبداع وإضافة معلومات جديدة، ولكن الكثير منها كان مجرد تقليد وشـرح، وتعليق وتلخيص لما سبق. ومن أشـهر العلماء المتأخـرين ابن جني (المتوفى سنة 392 هـ) وكان رأس علماء النحو في بغداد وقد عمل أكثر من غيره على توحيد مذهبي البصـرة والكوفة وعلي استنباط المبـادئ الفلسفيـة في اللغة، وعني بالصرف عناية كـبيرة. والزمخشري (المتوفى سنة 359 هـ) وهو أديب وعالم ومـتكلم معتزلى، وله كـتاب المفصل في النحـو، وقامـوس أساس البلاغـة، ومقـامات في الإنشـاء الأدبى. وجمـال الدين بن الحاجب (المتوفى سنة 646 هـ) مؤلف « الكافية » في النحو، وهي من أشهر المختصرات في هذا العلم وأكثرها تداولاً بين القراء، وقـد شرحها كثيرون. ومن هؤلاء العلمـاء محمد بن مالك الأندلسي (المتوفى سنة 672 هـ)صاحب الألفية المسماة بـاسمه: « ألفية ابن مالك »، وقد جمع فيها خلاصة قواعد النحو .

ثالثا : البلاغة :

معنى البلاغة :

اهتم العلماء بنقد الأدب، وميزوا الجميل من الشعر والنثر، وفاضلوا بين الشعراء، وبينوا موضع الجمال وسبب المفاضلة. وما زال النقد ينمو حتى استقل عن الأدب وأصبح علمًا قائمًا بذاته يسمى علم البلاغة. ويبين هذا العلم نصيب العبارة فيها، من الصواب والوضوح، ومقدار ما فيها من الفصاحة، ويشير إلى موضع الجمال فيها، ويبين أين تكون البلاغة: أهي في جمال اللفظة المفردة وحلاوة جرسها. أم في جمال المعنى، أم في حسن التوفيق والملاءمة بين الألفاظ في العبارة؛ أي ما يسمى بالأسلوب. ويبين هذا العلم متى يكون الكلام مؤثرًا في النفس مقنعًا للعقل، وما هي وسائل ذلك. ويورد الأمثلة على الكلام البليغ للتأثر به واحتذائه والنسج على منواله، وأمثلة على الكلام الرديء لتجنبه والابتعاد عن ركاكته وأخطائه. وقد وضع العلماء في ذلك القواعد، وقدروا لها الأصول. وكان الدافع لهم على ذلك إظهار مواضع الإعجاز في القرآن الكريم ثم في الكلام عامة .

كتاب البيان والتبيين للجاحظ :

من أقدم من وضعوا أسس هذا العلم الجاحظ في كتاب « البيان والتبيين » وقد جمع الجاحظ في كتابه هذا عددًا من مسائل البلاغة والبيان والنقد. وأورد فيها الكثير من مختار الكلام، وحاول أن يستخرج من هذه المختارات قواعد للكلام البليغ. وقد عني الجاحظ بمسائل البيان والبلاغة والقواعد البلاغية والخطابية والشعر والرسائل ،ولكن أهمية الكتاب الكبرى هي في احتوائه على هذه المجموعة الكبيرة من مختار كلام العرب في الخطب والرسائل والقصص والشعر. وهدف الجاحظ هو تحديد خصائص الكلام الواضح السليم من العيوب، وبيان كيف تكون الإصابة في القول، ومتى يكون الكلام مقنعًا. فهو يتكلم عن صحة مخارج الحروف وعن الصلة بين الألفاظ في الجملة الواحدة. ويتكلم عن الجملة فيبين كيف يكون الإيجاز والإطناب. ويشرح العلاقة بين المعنى واللفظ. وخلاصة رأي الجاحظ في الكلام البليغ هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهو يقول: -

« والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتي يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل. لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو

الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع ». (البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦) .

المؤلفون في علم البلاغة :

وجاء بعد الجاحظ علماء كثيرون كتبوا في البلاغة الفصول والكتب الكاملة. ومن هؤلاء ابن المعتز (المتوفى سنة 296 هـ)مؤلف كتاب البديع. وقدامة بن جعفر (المتوفى سنة 310 هـ) مؤلف كتاب نقد الشعر. وأبو هلال العسكري (المتوفي سنة 395 هـ)وله كتاب الصناعتين في النظم والنثر. على أن أشهر من ألف في موضوع البلاغة وأعظمهم تأثيرًا هم عبد القاهر الجرجاني (المتوفى 471 هـ) مؤلف كتابي « أسرار البلاغة » و« دلائل الإعجاز » وأبو يعقوب السكاكي (المتوفى سنة 621 هـ)مؤلف كتاب « مفتاح العلوم »وضياء الدين بن الأثير (المتوفى سنة 637 هـ)مؤلف كتاب « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » .

رابعا : الأدب :

معنى الأدب :

اهتم العلماء بجمع مفردات اللغة وتحقيقها وتنظيمها في كتب ومعاجم،واهتموا بالنحو والصرف وألفوا في ذلك الكتب،واهتموا بالنقد الأدبي والبلاغة وعنوا طوال العصور الإسلامية بالشعر والخطب والرسائل والقصص والأمثال والمناظرات وغيرها. لم يقتصروا على فرع واحد من الأدب، وإنما كانوا يلمون بها جميعًا. وقد يتعمق أحدهم في ناحية من الأدب يختص بها ويبرز فيها. فقد كان مفهومهم للثقافة عامًا واسعًا يمثل المعرفة بأسرها. ومن هنا كان تعريف الأديب والمثقف في عرفهم بأنه (الشخص الذي يعرف طرفًا من كل علم). وتظهر هذه الصفة في المؤلفات الأدبية عامة. فلم تقتصر هذه الكتب على نوع واحد من الأدب، فقد كان الأديب لغويًا ومؤرخًا وجغرافيًا، وملمًا بأطراف المعارف الأخرى.

الشعر الجاهلي :

الشعر أهم جوانب الفكر العربي قبل الإسلام: أصالة، وإبداعًا، وكمالاً فنيًا. وضع العرب فيه أجود ما ابتكرته قرائحهم، وعبروا فيه عن خطرات عقولهم وخلجات أنفسهم وآرائهم في الطبيعة والحياة والمجتمع وقد وصف الشعراء طبيعتهم أرضًا وسماء وجوًا

وحيوانًا ونباتًا، ووصفوا مجتمعهم وما كان يلم به من خطوب أو ما يظفر به من خير. وذكروا فيه أخبارهم الماضية، وأنسابهم وأحسابهم، وتغنوا فيه بالمناقب التي يحمدونها وذموا المعايب التي يكرهونها. وقديمًا قالوا: « الشعر ديوان العرب ». والحق أن الشعر الجاهلي هو السجل الجامع لأخلاق العرب وعاداتهم ومعتقداتهم وعواطفهم وسائر معارفهم. يقول أبو هلال العسكري (المتوفى سنة (395 هـ / 1005 م) في كتاب الصناعتين: « لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها. فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها » .

كان الشاعر الجاهلي كريمًا في قومه، عالي المنزلة في قبيلته، لأنه كان لسان القبيلة، يدافع عن أحسابها ومناقبها. ومما رفع من مقام الشاعر بين أبناء قومه أنه كان كريمًا على نفسه حريصًا على كرامته، فلم يذل نفسه التماسًا للمال على أبواب ذوي المال والسلطان كما فعل شعراء المدح بعد الإسلام .

وكان الشاعر الجاهلي قوي الإحساس، دقيق الملاحظة حاذق الوصف، واقعي النظرة إلى الحياة. وكان الشعر غني اللغة والمعاني والموضوعات، لغته بسيطة، مباشرة، خالية من الحشو والتكلف، مقتصدة في الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية. وكانت خاصيته المميزة الإيجاز البليغ، فهو من شعر اللمحة الخاطفة الذي تعبر فيه الجملة القصيرة عن المعاني العديدة، وترسم العبارة الوجيزة الصورة التامة .

وكانت القصيدة قوام الشعر. وهي منظومة ذات وزن واحد وقافية واحدة وتتألف من عدد من الأبيات، كل بيت وحدة قائمة بذاتها. وتتألف القصيدة من أجزاء يتناول كل جزء موضوعًا معينًا. ومن المواضيع التي طرقها الشعراء وأكثروا فيها الحماسة والأدب والنسيب والهجاء والرثاء والوصف. وكانت كل قصيدة تستهل عادة بالنسيب. وبعد أن يستوفي الشاعر القول فيه ينتقل إلى الموضوعات التي يقصدها كالحماسة أو الرثاء وغيرها. ويشمل النسيب الكلام في الحب والشوق والذكرى والحنين وما إلى ذلك من معاني الحب وظروفه وأحواله. ويعبر عن النسيب أيضًا بالغزل. تشمل الحماسة كل ما له صلة بالقتال والبسالة فيه، والذود عن الحريم، والأخذ بالثأر، والفخر بالأهل والقبيلة .

وأما الرثاء فيشمل البكاء والحزن على الميت. ومنه التأبين، أي مدح الميت والثناء عليه وتعديد صفاته الكريمة. ومنه المراثي الحكيمة التي يتحدث فيها الشاعر عن فلسفة الحياة

والموت .

وموسيقى الشعر الجاهلي غنية متنوعة، ولعلها كانت موسيقى شعر عند الأمم القديمة. وقد استخلص الخليل بن أحمد الفراهيدي بحور الشعر الستة عشر وضروبها من بحور هذا الشعر وضروبه العديدة التي لم يضف إليها الشعراء إلا القليل في عصور الإسلام كلها .

ولم يخل الشعر الجاهلي من فلسفة، أي من نظرة معينة إلى الكون، وموقف معين من الحياة، مع تعليل لهذه النظرة ولهذا الموقف. وهذه الفلسفة بسيطة، بعيدة عن التكلف، واضحة البرهان. فقد كان الشاعر واقعيًا يستمد أفكاره من تجاربه، ويركز التجربة في بيت واحد أو في أبيات معدودة. وبساطة الفكر ناتجة عن بساطة تجربة الشاعر وتجربة المجتمع الذي يعيش فيه. ونجد نماذج جيدة لهذه الفلسفة في معلقات طرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمي والحارث بن حلزة وقصائد دريد بن الصمة وغيرهم .

نقل الأدب الجاهلي وتدوينه :

كان الأدب ينتقل شفاها منذ العصر الجاهلي حتى عصر التدوين المنظم في صدر الدولة العباسية حيث اهتم الرواة بالشعر، واختص بعضهم بروايته، وعن طريقهم وصلنا شعر الجاهلية وصدر الإسلام. وقد ضاع معظم الشعر الجاهلي ولم يصلنا منه إلا النزر اليسير الذي لا يتعدى تاريخ أقدمه مئة وخمسين سنة قبل الإسلام .

وأهم مجموعات الشعر الجاهلى التي وصلتنا :

1- المعلقات :

المعلقات أقدم ما بقي لنا من مجموعات الشعر الجاهلي وهي سبع قصائد طوال لسبعة من شعراء الجاهلية المشهورين، جمعها حماد الراوية (المتوفى سنة 156 هـ) وسماها السموط أو المعلقات .

2- المفضليات :

والمجموعة الشعرية الثانية هي مجموعة المفضل الضبي (المتوفى سنة 164 هـ)وقد

سماها المؤلف في الأصل « كتاب الاختيارات » ولكنها عرفت بعد ذلك بالمفضليات نسبة إلى جامعها، وهي من أهم ما وصلنا من الشعر القديم. وتحتوي المفضليات على 12 قصيدة لسبعة وستين شاعرًا، 47 منهم من شعراء الجاهلية، و 14 من الشعراء المخضرمين، أى الذين ولدوا في الجاهلية وعاشوا بعد الإسلام، و 6 من الشعراء الإسلاميين .

3- الأصمعيات :

والمجموعة الثالثة هي القصائد التي جمعها الأصمعي وتسمي « الأصمعيات » وتشتمل على 72 قصيدة مجموعة أبياتها 1163 بيتًا، وعدد شعرائها 61 شاعرًا. والمجموعة الرابعة هي جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القريشي. وهناك مجموعات شعرية أخري أهمها الحماسة لأبي تمام (المتوفى سنة 231 هـ)، والحماسة للبحتري (المتوفى سنة 284 هـ). ويضاف إلى هذه المجموعات كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة. وطبقات الشعراء لابن سلام ونجد مختارات من الشعر العربي القديم في كتب الأدب كالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ومعجم الأدباء لياقوت، والعقد الفريد لابن عبد ربه وغيرها .

الشعر في صدر الإسلام والدولة الأموية :

وبعد ظهور الإسلام ظل العرب يهتمون بالشعر ونظمه، ولم يقتصر ذلك على الصحراء بل امتد إلى موطن العرب في المدن والأمصار الإسلامية، مثل المدينة ومكة والبصرة والكوفة والشام. وقد أضيفت إلى موضوعات الشعر القديمة موضوعات جديدة اقتضتها ظروف الحياة الجديدة .

فقد أيد الشعراء الدعوة الدينية، وشاركوا في معارك التحرير والفتوح، ومدحوا الرسول ﷺ وأصحابه، وتغنوا بشجاعة العرب المسلمين في الحروب، وحثوا المقاتلين على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، ورثوا القتلى من المجاهدين. ومن أشهر الشعراء في فترة ظهور الإسلام وانتشاره: كعب بن زهير (المتوفي سنة 21 هـ) صاحب قصيدة « بانت سعاد» المعروفة بالبردة. وأبو ذؤيب الهذلي (المتوفى سنة 26 هـ)، وحسن بن ثابت الأنصاري (المتوفى سنة 54 هـ) وهو شاعر الرسول ﷺ .

وبرز في هذا العصر عدد من الشعراء نظموا في الشعر السياسي منهم الأخطل

(المتوفى سنة 92 هـ)، وعمران بن حطان والطرماح بن حكيم شاعر الخوارج، الكميت بن زيد(المتوفى سنة 126 هـ)، وعبد الله بن قيس الرقيات القريشي (المتوفى سنة 75 هـ) .

وفي هذا العصر استقل الغزل، وأصبح ينظم لذاته، وأخذ الشعراء يفردون له قصائد بكاملها يعبرون فيها عن حبهم وعواطفهم وأشواقهم. وكان الغزل، في هذا العصر، نوعين: الغزل العفيف أو العذرى، ويمتاز بالبساطة والصدق والرصانة. ومن شعرائه المشهورين: جميل بن معمر المعروف بجميل بثينة (المتوفى حوالي سنة 82 هـ)وكثير عزة، وليلى الأخيلية (المتوفاة سنة 75 هـ) .

والغزل الحضري المترف، وقد اشتهر به عمر بن أبي ربيعة المتوفي سنة 93 هـ. ولمع في هذا العصر شعراء كثيرون نظموا في الشعر السياسي والغزل والفخر والهجاء ومن أبرزهم جرير والفرزدق والأخطل .

وكان لتقدم الموسيقى والغناء في هذا العصر أثر ظاهر في الشعر، وخاصة في الشعر الغنائي والغزلي، حيث أصبح أرق ألفاظًا من غزل الجاهليين وألطف أخيلة، وأحلى أنغامًا. ولم يكتف شعراء هذا العصر باصطناع معاني الأقدمين وأخيلتهم، وإنما أضافوا إليها الكثير من المعاني المبتكرة والخيالات الجميلة، وتأنقوا في اختيار الألفاظ واصطنع عمر بن أبي ربيعة القصص والحوار في قصائده فجاءت سهلة الفهم حلوة الوقع في الإنشاد، تمتع النفس بطرافة صياغتها، ولطافة معانيها .

الشعر في العصر العباسي :

طرأت على الشعر تغيرات عديدة في العصور العباسية. فقد ضعفت فيه مواضيع وقويت مواضيع أخرى، ونشأت فيه أغراض لم تكن موجودة أصلاً، أو كانت ضئيلة محددة المجال، وتغيرت معانيه وأخيلته والألفاظ المستعملة فيه. لقد ضعف الشعر السياسي والحماسي، والغزل العذري، وقوي شعر المدح والرثاء وازداد الشعر الحكمي عمقًا، واشتد ميل الشعر الوصفي إلى التعبير عن مظاهر المدنية والعمران، وظهر الشعر الزهدي والصوفي والفلسفي والتعليمي والقصصي وغير ذلك من الموضوعات الجديدة. وحرص الشعراء على التناسب والترابط بين أجزاء القصيدة، وراعوا الترتيب في المعاني، واختاروا الأوزان الخفيفة، واستعملوا الألفاظ الواضحة، اللطيفة، وأكثروا من المحسنات البيانية والبديعية.

وقد أسرف الشعراء المتأخرون في استعمال ضروب البديع من جناس وطباق وتورية وما إليها، واهتموا بتزويق اللفظ. وهكذا تدرج الشعر العربي من المعاني البسيطة الساذجة إلى المعاني المعقدة، ومن الخيال البسيط والصورة الواقعية إلى التكلف في الصنعة، والغلو في الوصف والاستعارة والتشبيه.

وقد ظهر في العصور العباسية عدد كبير من الشعراء المجيدين في مختلف الأقطار العربية والإسلامية ومن أبرزهم: بشار بن برد (المتوفى سنة 168 هـ). وأبو نواس (المتوفى سنة 198 هـ). وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي (المتوفى سنة 228 هـ). والبحتري (المتوفى سنة 284هـ). وابن الرومي(المتوفى سنة 283 هـ). وعبد الله بن المعتز (المتوفى سنة 296 هـ). والمتنبي (المتوفى سنة 354 هـ). وأبو فراس الحمداني (المتوفى سنة 357هـ). والشريف الرضى (المتوفى سنة 406 هـ). وأبو العلاء المعري (المتوفي سنة 449 هـ). وابن الفارض (المتوفى سنة 632 هـ).

الشعر الأندلسي :

وقد تابع الشعراء الأندلسيون شعراء المشرق في معظم أغراض شعرهم ومعانيه وأساليبه. ولكنهم جددوا في الغزل، ووصف الطبيعة والعمران. ولعل أهم ما أضافه الأندلسيون إلى الشعر العربي هو ابتكارهم الموشح وتطويره، وتفننهم في أساليبه. لقد درج الشعراء العرب على استعمال وزن واحد وقافية واحدة في القصيدة الواحدة. ولكن الشعراء الأندلسيين ابتكروا أشكالاً مختلفة للشعر غير القصيدة، منها الأرجوزة وهي معروفة منذ الجاهلية والمخمسة وهي منظومة تتألف من قطع تحتوي كل قطعة على خمسة أشطر، للأربعة الأولى منها قافية واحدة، وللشطر الخامس قافية تتفق مع قافية الشطر الخامس لكل قطعة. والمربعات وتجري على طريقة المخمسات،سوى أن أشطرها أربعة بدلاً من خمسة على أن أهم أشكال الشعر الجديدة هي الموشح. والموشح منظومة مقسمة إلى قطع مستقلة بقوافيها،مع قافية موجودة تتكرر من قطعة إلى قطعة. والشائع أن مبتكر فن الموشح هو عبد الله بن المعتز. ولكن المرجح أنه نشأ في الأندلس أصلاً ومنهم اقتبسه أهل المشرق. وحتى في الأندلس لم يظهر هذا الفن إلافي العصور المتأخرة. وكان الموشح خطوة كبيرة في تطور شكل الشعر العربي، فقد أتاح للشاعر، بالإضافة إلى حرية التصرف في القوافي، حرية

التنويع في الوزن. وذلك بأن يقصر شطرًا ويطيل شطرًا. وكان من نتائج انتشار الموشح، بلغته السهلة وأوزانه المختلفة وقوافيه المتعددة وملاءمته للغناء انبعاث أدب جديد هو الزجل الشعبي، ونشوء فن جديد في الشعر الأوروبي هو شعر الطروبادور الذي سنتكلم عنه بعد قليل. وتفخر الأندلس بعدد كبير من الشعراء المجيدين منهم: ابن هاني (المتوفى سنة 362 هـ)، وابن زيدون (المتوفى سنة 463 هـ)، والمعتمد بن عباد (المتوفى سنة 488 هـ).

الشعر العربي والمجتمع :

يؤلف الجيد من الشعر العربي منذ الجاهلية إلى مطلع النهضة الأدبية الحديثة تراثًا ضخمًا، رائع الفكر واللغة والعبارة، ويمتاز بأناقة ألفاظه، وحلاوة أنغامه، وطرافة أخيلته، وجمال صوره، ودقة معانيه واتساع آفاقه وجمال صياغته وتأليفه. وقد عبر الشعر عن عواطف الشعراء وأفكارهم، ووصف حياة الناس وما يحيط بها من مظاهر الطبيعة والعمران. وكان جانب من هذا الشعر، وخاصة في العصور العباسية، يعبر عن حياة الطبقات الحاكمة والمترفة في المجتمع.

ولكن الشعر العربي، حتى في العصور العباسية، لم يكن كله شعر تكسُّبٍ، ومدحٍ كاذب، فالحق أن كثيرًا من الشعراء المجيدين كانوا ملمين بأحوال جمهور الناس، شاعرين بمشاكلهم وآلامهم، وقد عبروا في شعرهم عن متطلبات الفكر والحياة، وعن وجدان الأمة ووعيها وموقفها من الحياة والكون.

وللتأكد من هذه الحقيقة بحسبنا أن نقرأ، على سبيل المثال، شعر حروب التحرير، والشعر الذي قيل في حصار بغداد وتخريبها أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون، وشعر المتنبي في وصف معارك العرب والبيزنطيين وقصائد الشعراء في معارك الحروب الصليبية والحملات الأسبانية على المدن الإسلامية في الأندلس.

والخلاصة أن الشعر العربي ذو قيمة تاريخية عظيمة لفهم نفسية العرب وتتبع مراحل نمو عواطفهم، والكشف عن وجدان الأمة عمومًا. ولكن للشعر العربي قيمة ذاتية ما تزال تمنحه البقاء والخلود.

إن في الشعر العربي قصائد كثيرة تسمو إلى أعلى آفاق الشعر الوجداني الإنساني

الذي يثير النفوس، ويلهم العقول، والذي يعبر عن القيم الإنسانية الخالدة وعن ابتهاج الإنسان بالحياة، وقلقه الدائم، وأشواقه التي لا تعرف المستقر كشعر المعري والحلاج وابن الفارض وابن العربي والمتنبي وابن الرومي والشريف الرضي وغيرهم من الشعراء الكبار الخالدين .

النثر :

كان للعرب نثر فني رائع، ما زالت نماذجه الحية تقرأ فتثير النفوس وتمتع العقول. وقد بدأ النثر في صدر الإسلام بسيطًا، مباشرًا، موجز العبارة، واضح الألفاظ، وكانت أهم أشكاله: الرسائل والخطب والأحاديث والأخبار التاريخية. وبتقدم الحياة الاجتماعية والعقلية تقدم النثر فتنوعت مواضيعه، وتعددت فنونه، ودقت معانيه، وظهرت الصنعة في أسلوبه والإسهاب في عبارته، ومن كبار الكتاب الأولين عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع. وجاء الجاحظ فطور النثر المرسل ووسع آفاقه وصار إمامًا فيه يقتدي به المقتدون، ويحذو حذوه المنشئون. وقد بلغ تطور النثر الفني مداه في القرن الرابع الهجري. ومن أشهر كتابه أبو حيان التوحيدي. ثم طغت بعد ذلك، على النثر موجة الزخرفة اللفظية، والإسراف في التأنق، والإكثار من المحسنات البديعية، على حساب دقة المعاني وعمق الموضوعات. ويظهر ذلك في المقامات ورسائل بعض الكتاب المتأخرين. ويجدر بنا أن نؤكد هنا على أن النثر لا يقتصر على الخطب والرسائل والمقامات وإنما يشمل كل ما أنتجه الكتّاب من نثر فني. والحق أن روعة النثر العربي تتجلى في مؤلفات كثير من المؤرخين والجغرافيين والفقهاء والفلاسفة، حيث يجد القارئ العبارة الرصينة، والمعاني الدقيقة، والوصف الحي الممتع، والتأليف المحكم. تناول النثر كل موضوعات الفكر والوجدان المعروفة، واصطنع كل أشكاله الممكنة يومئذ، ومن أهم أشكاله الفنية الرسائل والخطب والأمثال والقصص .

الرسائل :

والرسائل نوعان : رسمية أو عامة. ورسائل غير رسمية أي خاصة أو إخوانية كما تسمى أحيانًا. وقد كانت الرسائل الرسمية في الدولة العربية في صدر الإسلام والعصر الأموي موجزة بسيطة واضحة، لا تكلف فيها ولا صنعة. وكانت تصل إلى الغرض المقصود

بعد السلام والتحية رأسًا دون ديباجة مطولة في الافتتاح أو دعوات كثيرة في الانتهاء. ومنذ أواخر عهد الدولة الأموية أخـذ كتّاب الدواوين يتأنقون في الرسائل حتى أصـبحت معرضًا للصياغة اللفظية والبراعة والبلاغة في الدولة العـربية في أواخر العصر العباسي. ومن أشهر كتّاب الرسائل الرسمية: عبد الحميد الكاتب، الحسن بن سهل، وأبو إسحاق الصابي، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وضياء الدين بن الأثير. أما الرسائل الخاصة، أو الإخوانيات، فهي الـتي يكتبـها الكاتب إلى صـديق، ويعبـر فيهـا عن أفكاره أو يصف حـوادث وقعت أمامـه. ومن أشهـر كتـاب هذا النوع من الرسائل: الجـاحظ، والخوارزمي، وبديـع الزمان الهمذاني، وابن زيدون وغيرهم .

الخطابة :

واهتم العرب بـالخطابة. وهي تلي الشعر فـي الأهمية عندهم. لأنهـا كلام بليغ فـيه حماسـة وخيال، يتوجـه به الخطيب إلى عقول السامـعين فيقنعها بالمنطـق، وإلى عواطفهم فيثيرها بالحمـاسة ويحملها على قبول فكرته والتسليم بها. وقد كـان للخطابة شأن كبير في الجاهليـة وصدر الإسلام. فكانوا يدربون فتـيانهم على الخطابة منذ حداثتـهم، ويحفظونهم الخطب البليغة ليتأثروا بها ويحذوا حـذوها. ونجد الكثير من الخطب البليغة في كتب الأدب التي ذكرناها، وفي البيان والتبيين للجاحظ، وفي نهج البلاغة الذي يضم خطب الإمام على (كرم الله وجهه) .

الأمثال :

وقد اهتم العلماء العرب بالأمثال فجمعـوا وألفوا فيها الكتب. ومن أشهرها « مجمع الأمثال » للمـيداني (المتوفى سنة 518 هـ)جمعه مـؤلفه من نحو خمسين كتـابًا في الأمثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن أضاف إليه أمـثال المولدين. وهو أجمع كتاب في الأمثال العربية. والمستقصى في الأمثال للزمخشري، وهو معجم للأمثال العربية مرتب على حروف الهجـاء حسب أوائل الأمثـال. والمثل عبارة مـوجزة تلخص مغـزى تجربة مر بهـا الفرد أو الجماعـة، أو خلاصة رأى حكيم. ولما كانت الأمـثال نتيجـة تجارب الأمة جيـلاً بعد جيل أصبحت دراستها مهمة لمعرفة درجة عـقلية الأمة وأخلاقها وعاداتها وظروفها عامة. وتنطلق

كثيـر من الأمثال عفويًا من تجـارب أبناء الشعب، وتشيع على ألسنتهم بلغـة تخاطبهم دون صقل وتهذيب، وهذا ما يجعلها أدل على نفسية الشـعب ومستوى عقليته. ولهذا قيل المثل هو صوت الشعب .

القصص :

للعرب في القصة تراث ضخم ما زال الناس يقرأونه فيـبهرهم ويخلبهم بسعة آفاقه، ولطف أخيلته، وغرابة أحداثه، وعجيب تصـرفات أشخاصه. وقد وردت في القرآن الكريم قصص عديدة تذكر وقائع الأمم الغابرة والأنبياء الأولين ليعتبر الناس بها. وجمع الرواة من أخبـار عرب الجاهليـة وأسمارهم عـشرات الكتب يدور مـعظمها على الغـزوات والحروب وأخبـار العشاق. وفي القرن الرابع الهـجري وضعت القـصص الأدبية القصيـرة التي تسمى المقامات، وهي حكايات قصـيرة قليلة الحوادث، يقصد فيهـا الكاتب إلى التأنق في العبارة، وإظهار البراعة في اللغة، أكثر مما يقصد إلى القـصة بذاتها. ومن أشهر كتاب المقامات بديع الزمان الهمذاني (المتوفى سنة 398 هـ)، والحريري البصري (المتوفى سنة 516هـ). وبالإضافة إلى هذه القصص الموضـوعة ترجمت قـصص عديدة عن اللغات الأجنبـية. منها الواقعـية، والرمزية، والخرافيـة، ومن أشهر هذه القصص المترجمة « كليلـة ودمنة » التي ترجمها إلى العربية بأسلوب رفيع عبد الله بن المقفع وقصصها تحكى على لسان الحيوانات .

وقد ازدهر فن القـصة في مصر منذ عصـر الفاطميين حيث وضـعت أعظم القصص العربيـة وأطولها، وهي قصة عنتـرة التي يطلق عليها بعض مؤرخي الأدب المحـدثين «إلياذة العرب» وقد وضع هذه القـصة يوسف بن إسماعـيل شيخ القصاصين في عـهد العزيز بالله الفاطمي(365 - 386 هـ).

وتصور هذه القصة العظيمة المُثُل البطولية التي يعتز بها العرب بأسلوب قصصي رائع الخيـال، متماسك الحـبكة، قوي الإثارة، يتخللـه حوار ممتع، وشعر شـعبي فصـيح بسيط العبارة والتـأليف. وفي أثناء الحروب الصليبية والعـصور التالية ألفت قصص بطولية كـثيرة تشيد بمآثر أبطال العرب والمسلمين. ومن أشهرها: سيرة الظاهر بيبرس، وقصة سيف بن ذي يزن، وقصة أبي زيد الهلالي وغيرها. ولعل أعظم القصص العربي جميعًا «ألف ليلة وليلة» والتي تم جـمعهـا في مصـر بصورتهـا الحاضـرة في القرن العـاشر الهجـري. ومن روائع

القصص العربي رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وحي بن يقظان للفليسوف الأندلسي ابن طفيل. وهي تعبر، صراحة ورمزًا وإيحاء، عن المعاني الفلسفية والدينية والاجتماعية، بالإضافة إلى ما تحويه من قصص طريفة ممتعة. والقص العربي عمومًا ثروة عظيمة في الأدب العربي .

أثر الأدب العربي في الآداب الشرقية :

أثر الأدب العربي، شعرًا ونثرًا وقصصًا، في آداب الأمم الشرقية من حيث الموضوعات والمعاني والأساليب وأوزان الشعر وإيقاعاته ومفردات اللغة، ومقاييس الفصاحة والبلاغة. ويظهر أثر الأدب واضحًا في نشوء وتطور الآداب الفارسية والتركية والهندية وغيرها من آداب الأمم الشرقية التى نشأت في محيط الثقافة العربية الإسلامية أو كانت على اتصال بها .

لم يكن للفرس أدب مزدهر في العصر الساسانى، ولم يُؤلف فى اللغة الفارسية، بعد الفتح الاسلامى إلا كتب قليلة معظمها فى الدفاع عن الدين المجوسى، ولا يتجاوز أقدمها عهدأ عصر المأمون. وقد اصطنع مثقفو الفرس اللغة العربية، واستعاضوا بها عن لغتهم الفارسية فكتبوا بها ونبغ منهم نوابغ عديدون فى مختلف فروع الثقافة العربية الإسلامية. ومنذ أواخر القرن الثالث بدأ الأدب الفارسى الجديد بالظهور، وقد شجع على ذلك عوامل عديدة منها: ظهور الأسر الفارسية المتنفذة والإمارات الفارسية المستقلة وشبه المستقلة في المناطق الفارسية، والمناطق المتاخمة لها. وكان هذا الأدب الفارسى الجديد أدبًا إسلاميًا احتذى حذو الأدب العربى فى أساليبه ومعانيه وموضوعاته، وكتب بالحروف العربية واستعار من العربية ألفاظًا كثيرة. واقتبس شعراء الفرس من الشعر العربى الأوزان واللغة والقوافي، وطبقوا ذلك على ما نظموه في لغتهم. وتناولوا في قصائدهم كثيرًا من موضوعات الشعر العربي كالمدح والهجاء والغزل والوصف، ويبدو أثر العربية في النثر الفارسي أبين من أثرها في الشعر، فالألفاظ العربية فيه أكثر ويكثر فيه الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث والأمثال وأبيات الشعر العربي. وطبق الأدباء الفرس قواعد البلاغة العربية والمحسنات البديعية على الشعر والنثر الفارسي، وأخذوا اصطلاحات البلاغة العربية .

وقد تأثر الأدب فى الهندتـأثراً عميقـاً بالأب العربى الإسلامى . وظهـر بين المسلمين الهنود مؤلفون كـبار كتبوا بالـلغة العربية المؤلفات الكثـيرة التي يدور معظمهـا على العلوم الدينية واللغوية والتاريخية. وقد نشأت، تحت تأثير الثقـافة العربية والفارسية لغة هندية جديدة هي اللغة الأوردية، وهي قـدجمعت بين السنسكريتـية والعربيـة والفارسية والتـركية. ويستـمد الأدب الأوردي، مثل سائر الآداب الإسلامية غير العربية، كـثيراً من موضوعاته ومعانيه من الأدب العربي، ولغته تزخر بالألفاظ العربية، وبمقتبسات من القرآن الكريم والحديث وأبيات الشـعر العـربي. وقد أخـذ أدباء الأوردية أوزان الشعـر العـربي وقواعـد البلاغـة العربيـة واصطلاحاتها .

أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية :

انتـقلت معظم المؤثرات الـعربيـة في الأشعـار العربيـة بواسطة الأغـانى والأناشيـد والقصص الشعـبية التي كان الناس يتداولونهـا ويتناقلونها شفاها. وكـان الإقبال على غناء المغنين الأندلسيين عظيـمًا في بلاط الأمراء في أسبـانيا والبلدان الأوروبية القريبـة منها، مثل بروفاني في جنوب فرنسا وإيطاليا. وفى القرنين الحادي عـشر والثانى عشر الميلاديين ظهرت فى أوروبا طائفة من الشعراء المنشدين جمعوا بين الغناء والعزف على العود. وقد أطلق على هؤلاء الشعـراء المنشدين اسم « الطروبادور » وهي كلمـة مشتـقة من لفظة طرب العـربية، والطابع العربى في شعر هؤلاء الشعراء ظاهر ولا شك فيـه، فقد كانت أغانيهم تدور حول الغزل والنسيب بكل خصائصه المميزة من الهوى العذري، والشوق والحنين إلى محبوبة عزيزة المنال، إلى ما في الغزل العذرى من وفاء ونبل وغـاية، وتأجج عاطفة. وكانت هذه الأغانى الأندلسية ذات طابع عربى فى أوزانها وقوافيها .

وترجمت إلى اللغـات الأوروبية قصـص كثيرة أهمـها كتـاب (كليلة ودمنة) الذى ترجم إلى الأسبـانية واللاتينية في القرن الثـالث عشر، ثم إلى اللغـات الأوروبية الأخرى، وأصبح نواة أدب قصـصي عن الحيوان والطير، وكان له أثر بالغ فى أدب الشـاعر الفرنسي «لافـونتين». ولعل القصص العـربيـة التي نقلت إلى أوروبا كـانت أبعد تأثيـرًا فى الآداب الأوروبية من القصص المترجمة والمنشورة .

فأثـر القصص العـربي يبدو واضـحًا فى قـصص « ديكاميـرون » للكاتب الإيطالى

بوكاتشيو وكذلك أثبت مؤرخو الأدب أثر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري وأحاديث المعراج في « الكوميديا الإلهية » للشاعر الإيطالي دانتي .

وقد اشتد إقبال الأدباء الغربيين على الأدب العربي منذ القرن السابع عشر لأسباب عديدة منها توسع أوروبا، والحركة الرومانطيقية، وانتظام حركة الاستشراق، فترجمت قصة حي بن يقظان إلى اللاتينية في القرن السابع عشر. وظهرت الترجمة الأولى الفرنسية لكتاب ألف ليلة وليلة في سنة 1704 م، وانتشرت في أوروبا انتشاراً سريعًا حيث ترجمت إلى معظم لغاتها. ونذكر من أدباء أوروبا الكبار الذين تأثروا بالأدب العربى دانيل ديفو مؤلف «روبنصن كروزو» ويوناثان سويفت مؤلف « رحلات كوليفر ». وفولتير في قصصه وحكاياته، وشاعر الألمان غوته الذي نظم كتابًا كاملاً سماه « ديوان الشرق والغرب » واستمد موضوعه من الأدب العربي والفارسي، وسرفانتس أديب أسبانيا الأكبر في قصته الخالدة « دون كيشوت » .

المراجع

1- ابن النديم الفهرست .

2- بروكلمان تاريخ الأدب العربي .

3- جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية .

4- حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي .

5- طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ومحمد عوض محمد،التوجيه الأدبي.

خامسًا: التاريخ :

تعريف التاريخ :

التاريخ علم يبحث في الوقائع الماضية. وكان العرب في الجاهلية يتخذون من بعض الحوادث المهمة مبدأ للتوقيت كبناء الكعبة أو عام الفيل وما إلى ذلك. ولما ظهر الإسلام وتأست الدولة العربية الإسلامية وامتدت الفتوحات أصبحت الحاجة ملحة إلى اتخاذ حادثة مهمة يجعلونها أساسًا لتوقيت رسائلهم وكتبهم وحوادثهم، فوقع اختيارهم في عهد عمر

ابن الخطاب (رضى الله عنه) على اتخـاذ عام هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة مـبدأ للتاريخ. واعتبروا المحـرم أول السنة. وتقابل السنة الأولى من الهجرة سنة 622 في التاريخ الميلادي، وكانوا يؤرخون بالأشهر القمرية، وبالليالي، لأن الليلة تسبق النهار .

التاريخ عند العرب في الجاهلية :

كان لعرب اليمن وسكان شمال الجزيرة العربية معرفة بسيطة بالتاريخ، وكانوا يدونون بعض الحوادث المهمـة فى حياتهم. وإنما نشأ علم التاريخ ونما وتطور بعـد ظهور الإسلام، وأصبح جزءًا مـهمًا من الثقافـة العربية الإسلاميـة له قواعده وأصوله وفروعـه. كان عرب الجاهلـية يتناقلون أخـبارًا مـتفرقـة حدث بعـضهـا في بلادهم والبعض الآخـر في البلدان الأخرى. وكانوا يتـخذون هذه الأخبار والقـصص مادة لسمرهم. وكانت كل قـبيلة تتناقل أخبارها الماضية، ومآثرها وبطولات أجدادها. فكان من الطبيعى أن ينصرف راوي كل قبيلة إلى تمجيد أحساب قبيلته، والمغالاة في عرض بطولات أجدادها. ومآثرهم ومناقبهم .

الأنساب :

واهتم العرب بالأنسـاب اهتمـامًا كبيـرًا، فقد كـان نظامهم الاجـتماعي قـائمًا على القبـيلة، وأساس وحدة القـبيلة صحـة النسب. ويلحق بالنسب الحسـب وهو تعداد مناقب الأجداد ومآثرهم وشيمهم، وقد كثـر النسابون في الجاهلية فلم تخل قبيلة من واحد منهم، وكان النسب يؤلف عماد الأخبار المتداولة بينهم .

أثر الإسلام في نشوء علم التاريخ :

كان ظهـور الإسلام وانتشـاره السريع أهم الحوافـز التي دفعت العرب إلى الاهتـمام بالتاريخ. فقد اهتموا بتتبع حياة الرسول ﷺ وغزواته وحديثه واهتموا بالردة وحركة التحرير والفـتوح ومـا جرى فـيهـا من الوقـائع. وقد ظهـر أسلوبان في تدوين التـاريخ: أسلوب المحدثين، وأكثر مـا يظهر في تاريخ السيرة النبوية الشريفـة. وكانت المدينة مركز هذا النوع من التاريخ. ويتمـيز هذا الأسلوب بذكر الخبر على وجـه الإيجاز وذكر الراوي الذى رواه. وأسلوب الإخباريين، وكانت الكوفة مركزه. ويتميز أسلوب الإخباريين بإعطاء صورة كاملة عن الواقعة التاريخية، وفى ذكر التـفاصيل، ورواية الشعر والخطب. ثم اتحد الأسلوبان في

مطلع العصر العباسي، وأصبح المؤرخون يجمعون بينهما .

المؤلفات في السيرة النبوية الشريفة :

إن ظهور الرسول ﷺ أعظم حدث في تاريخ العرب والمسلمين، ومن أعظم الحوادث في التاريخ الإنسانى. فقد بشر بدين جديد، ووحد كلمة العرب، وأدخلهم في التاريخ الإنسانى العام يشاركون في أحداثه مشاركة مبدعة ويضيفون إلى الحضارة الإنسانية صفحات مجيدة من الفكر المشرق والعمل البناء والمثل النبيلة. ومن الطبيعي أن يهتم العرب والمسلمون بحياة النبى ﷺ وتعاليمه وأعماله منذ الصدر الأول. وقد انصرف جمهور من المحدثين والرواة إلى جمع ما تفرق من أخبار سيرته. ويمكن تصنيف رواة السيرة بحسب تقدمهم في الزمن إلى ثلاث طبقات. الطبقة الأولى وأهم رجالها أبان بن عثمان بن عفان (المتوفى حوالى سنة 105 هـ)وعروة بن الزبير (المتوفى سنة 94 هـ). والطبقة الثانية وأشهر رجالها محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (المتوفى سنة 124 هـ). والطبقة الثالثة وأشهر رجالها محمد بن إسحاق (المتوفى حوالى سنة 150 هـ)ومحمد بن عمر الواقدى (المتوفى سنة 207 هـ).

الإخباريون :

والأسلوب الثانى فى كتابة التاريخ، أى أسلوب الإخباريين، هو امتداد لما كان معروفًا في الجاهلية. وأهم الإخباريين أبو محنف الأزدي (المتوفى سنة 157 هـ). وعوانة بن الحكم الكلبي الكوفي (المتوفى سنة 147 هـ)وسيف بن عمر التميمي الكوفي (المتوفى سنة 108هـ) ونصر بن مزاحم الكوفي (المتوفى سنة 212 هـ). وأعظم الإخباريين الكبار وأهمهم جميعًا المدائنى (المتوفى سنة 225 هـ) وهو يتفوق على من تقدمه من الرواة والإخباريين باعتماده على الإسناد أكثر مما اعتمدوا، وباتباعه أسلوب المحدثين فى نقد الروايات وتمحيصها، وبتنظيم رواياته. وقد جمع بين الدراسات التاريخية والأدبية. وهو يتناول في كتبه ورسائله التى تزيد على المئتين مختلف جوانب التاريخ العربي الإسلامي منذ بدء الإسلام إلى خلافة المعتصم العباسي .

النسابون واللغويون :

وقد نمت بعد الإسلام العناية بدراسة الأنساب وتسجيلها. وكانت الدوافع لذلك متعددة منها: الحاجات الإدارية كتنظيم العطاء، وإسكان القبائل في الأمصار والمدن الجديدة.

ومن أشهر النسابين محمد بن السائب الكلبي (المتوفى سنة 146 هـ). وابنه هشام بن محمد الكلبى (المتوفى سنة 204 هـ) مؤلف كتاب «جمهرة النسب». ومصعب الزبيرى (المتوفى سنة 236 هـ)مؤلف كتاب «نسب قريش». وهو يورد نسب الشخص، ويورد موجزاً عن حياته وأهم أعماله.

وقدم علماء اللغة مادة للدراسات التاريخية. فقد اهتموا بتوضيح ظروف نظم الشعر الذى جمعوه، وشرحوا الإشارات التاريخية الواردة فيه وتتبعوا الأخبار والأنساب التى يشير إليها الشعراء. ومن أشهر هؤلاء اللغويين: أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيدة معمر بن المثنى.

خصائص علم التاريخ عند العرب :

أصبحت هذه المادة التى جمعها مؤرخو السيرة النبوية الشريفة والإخباريون والنسابون واللغويون المصادر الرئيسة التى اعتمد عليها المؤرخون العرب فى العصر العباسى، وأفادوا منها فى تأليف كتبهم التاريخية، وصاغوها بأشكال مختلفة. فمنهم من نظم المادة التاريخية بحسب السنين كما فى تاريخ الطبرى، حيث يذكر فى كل سنة ما جرى فيها من الحوادث، ومنهم من نظمها بحسب عهود الخلفاء كما فعل اليعقوبي. ومنهم من اتخذ أسلوب الطبقات كما فعل ابن سعد، ومنهم من اتبع طريقة الأنساب كما فعل البلاذري. وقد تعددت المواضيع التى تناولتها المؤلفات التاريخية العربية ولم تترك موضوعًا إلا وطرقته، ولا ناحية من الحياة الإنسانية إلا وسجلتها. فلم تقتصر كتب التاريخ على السياسة وحياة الخلفاء والأمراء والخاصة من الناس، وإنما تناولت حياة عامة الشعب ومختلف نشاطاتها الاجتماعية والاقتصادية والروحية. وتناول بعض المؤرخين تفسير الحوادث التاريخية، أو ما يدعى بفلسفة التاريخ، كما فعل ابن خلدون في مقدمته المشهورة .

المراجع

1- فرانز روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي .

2- دائرة المعارف الإسلامية، مادة تأريخ .

3- عبد العزيز الدوري : بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب .

سادسا : الجغرافية :

أقسام علم الجغرافية :

استعمل العرب أسماء متعددة لأقسام علم الجغرافية. فقد أطلقوا على الجغرافية الفلكية اللفظ اليوناني جغرافيا. وكانوا يسمون هذا العلم أيضًا علم الأطوال والأعراض، أو علم تقويم البلدان، أو صورة الأرض. وأطلقوا على الجغرافية الوصفية اسم علم المسالك والممالك .

نشأ علم الجغرافية عند العرب نشأة بسيطة. ثم أخذ ينمو تدريجيًا حتى أصبح من أهم العلوم العربية، واحتل مركزًا ممتازًا فى الآداب العالمية. ومن أهم العوامل التى حفزت المسلمين على الاهتمام بعلم الجغرافية والتأليف فيه :

1- اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية بصورة عامة، وحاجة الدولة إلى معرفة البلاد، لضبط شؤونها. إذ كانت الدولة بحاجة إلى معلومات دقيقة عما ينتج من المحاصيل، وعن أحوال السكان، وعن طرق المواصلات وأطوالها ومسافاتها، والمراحل التى يقطعها البريد .

2- كان العرب بحاجة إلى معلومات دقيقة عن البلاد الأخرى غير الإسلامية وخاصة البلاد المجاورة. وقد استمدوا هذه المعلومات من مصادر مختلفة عديدة أهمها الوفود والسفارات التى كانت الدولة العربية الإسلامية تتبادلها مع الدول المجاورة، ومن الرحالين، والتجار، وأسرى الحرب، ومما كان يقع فى أيديهم من الوثائق المكتوبة .

3- الرحلات : وكانت الرحلات متنوعة الأصناف والأسباب. فمنها السفر لأداء فريضة الحج، فقد كان المسلمون يأتون من أقاصى البلاد إلى مكة لأداء فريضة الحج. ومنها الرحلات التجارية. ولم يكتف العرب والمسلمون بالتجارة داخل العالم الإسلامي بل مدوا نطاق تجارتهم إلى الأقطار الخارجية مثل جنوب شرقى آسيا والصين وإلى المناطق النائية من أوروبا وأواسط أفريقيا وشرقها. ومنها الرحلة فى طلب العلم. فقد أصبح من التقاليد

الراسخة فى العالم الإسلامى ألا يكتفى طالب العلم بالدراسة على شيوخ بلده، بل يرحل إلى البلاد المختلفة ليدرس على علمائها .

4- وكان الدين الإسلامى من أهم الحوافز على الاهتمام بالجغرافية الفلكية، بالإضافة إلى فريضة الحج التى تقدم ذكرها؛فقد اهتم المسلمون بالجغرافية الفلكية لتحديد اتجاه القبلة فى البلاد المختلفة. كما كانوا مضطرين إلى تحديد بداية الأشهر القمرية، وأوقات الصلوات، وغير ذلك من الأمور الدينية. وقد استلزم ذلك الاهتمام بخطوط الطول والعرض، وبالحسابات المتعلقة بذلك، وبدراسة الفلك. وقد دفعهم ذلك إلى الاهتمام بصناعة الساعات، فصنعوا الساعات الرملية، والمائية، والمزاول وغير ذلك من آلات تحديد الوقت وضبطه. وكان السفر البحرى من العوامل الدافعة فى الاهتمام بالجغرافية الفلكية. فالمعروف أن السفر فى تلك الأيام، وخاصة السفر البحرى، كان يعتمد على معرفة مواقع النجوم .

5- وكان لبعض العلماء ولع شخصى بالاطلاع على أحوال البلاد، والتعرف على سكانها ودراسة عاداتهم وأخلاقهم وصنائعهم. ولم يكونوا يقصدون من وراء رحلاتهم إلا الاستزادة من المعرفة، وخدمة العلم واكتشاف المجهول .

6- قد أفاد علماء الجغرافية العرب مما ترجم من كتب الجغرافية الأجنبية، وخاصة الهندية واليونانية، وأكبوا على دراسة هذه الكتب، واستمدوا منها بعض المعلومات. وكان اعتمادهم الرئيسى على مؤلفات الجغرافى والفلكى اليونانى الإسكندرى المشهور بطليموس (المتوفى سنة 168 ميلادية).

تطور علم الجغرافية عند العرب :

وقد مر علم الجغرافية بمراحل متعددة. ففى صدر الإسلام كانت المعلومات الجغرافية متناثرة فى الأدب اللغوى. وفى صدر الدولة العباسية تعرف العرب على مؤلفات بطليموس، وظهرت الترجمات، وبدأ التأليف العلمى، وظهرت الكتب فى الأقسام المتعددة من الجغرافية الوصفية. وفى هذا العصر وضعت الكتب الجغرافية العامة لسد حاجة كتاب الدواوين من المعلومات عن البلاد المختلفة ولإكمال ثقافة الأدباء. وفى هذا العصر ازدادت الرحلات وتنوعت دوافعها، وأخذ الرحالون يكتبون الكتب عن رحلاتهم. وفى القرن الرابع

الهجرى بلغ علم الجغرافية العربية أوجه، حين وضعت أهم كتب الجغرافية، وكمل فن رسم الخرائط والمصورات الجغرافية. ومنذ القرن الخامس أخذت تظهر المعاجم الجغرافية التى تتناول جغرافية العالم بأسره، وترتب المادة الجغرافية على حسب الحروف الهجائية. وكان ظهور هذه المعاجم نتيجة لتراكم المادة الجغرافية عند علماء العرب والمسلمين. وقد أفردت فصول طويلة للجغرافية فى الموضوعات العلمية والأدبية التى صنفت فى مصر والشام فى عهد المماليك .

وأهم ناحية برز فيها الجغرافيون العرب، وجعلت إنتاجهم الجغرافى أضخم إنتاج عرفته الأمم القديمة، هى الجغرافية الوصفية، وهى العلم الذى يتناول وصف البلدان المختلفة، وبيان طبيعتها، ومصادر ثروتها، وحياتها الاقتصادية وأحوال سكانها. وفى الجغرافية الوصفية يظهر فضل العرب خاصة على علم الجغرافية، وقد تجمع لدى جغرافى العرب مادة جغرافية تفوق كثيراً ما كان يعرفه جغرافيو اليونان والهند والسريان وغيرهم. وقد عرفوا أوروبا بأجمعها باستثناء أقصى شمالها. وعرفوا النصف الجنوبى من آسيا، وأفريقيا الشمالية إلى خط عرض 10 درجات شمال خط الاستواء، وعرفوا ساحل أفريقيا الشرقى. ووصف الجغرافيون العرب وصفًا مفصلاً جميع البلدان من أسبانيا غربًا إلى تركستان ونهر السند شرقًا. وقدموا وصفًا مفصلاً للمناطق المأهولة بالسكان، وللمناطق المزروعة والصحارى، وبينوا مدى انتشار النباتات المزروعة وأصنافها وأنواعها، وأماكن وجود المعادن. ولم يهتموا فقط بالجغرافية الطبيعية والظروف المناخية للبلاد، وإنما اهتموا بالحياة الاجتماعية والصناعية والزراعية واللغة والعادات والعقائد الدينية والحركة العلمية. وقد ألف العرب فى الأحوال الجغرافية البحرية، ودققوا فى ذلك، ومن أشهر المؤلفين فى هذا الموضوع العالم الملاح ابن ماجد وهو الذى أرشد الرحالة البرتغالى فاسكو داغاما فى رحلته من سواحل كينيا إلى الهند سنة 1498 م .

أشهر الجغرافيين :

وقد نبغ فى علم الجغرافية عدد كبير من العلماء من أشهرهم ابن خرداذبة واليعقوبى، والبلاذرى، والمسعودى، والمقدسى، والاصطخرى (المتوفى سنة 350 هـ) وله كتاب مسالك

الممالك. وابن حوقل وله كتاب صورة الأرض، وأبو الفداء (المتوفى سنة 732 هـ)وله فى الجغرافية كتاب « تقويم البلدان ». ومن أهم الجغرافيين الذين اهتموا برسم الخرائط: أبو زيد أحمد بن سهل البلخى (المتوفى فى مطلع القرن الرابع للهجرة) وله كتاب «صورة الأقاليم»، والاصطخرى، وابن حوقل وقد تقدم ذكرهما، والشريف الإدريسى (المتوفى سنة 548هـ)وله كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق »، وخريطة العالم التى رسمها الإدريسى معروفة مشهورة وقد نشرها المجمع العلمى العراقى .

كتب الرحلات :

وتزخر المكتبة الجغرافية العربية بكتب الرحلات. ومن أهمها رحلة ابن فضلان إلى منطقة نهر الفولغا(سنة 310 هـ - 922 م). ورحلة أبى دلف الخزرجى (سنة 331هـ-942م). إلى تركستان والصين والتبت والهند وسيجستان. ورحلة إبراهيم بن يعقوب العالم الأندلسى إلى ألمانيا وأوروبا الوسطي وما يسمى الآن بلغاريا وبولندة وجيكوسلوفاكيا وساحل فرنسا وهولندا. وأعظم الرحلات شهرة رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة .

ابن جبير :

ولد ابن جبير فى الأندلس(سنة 539 هـ - 1144 م)وتوفى فى مصر(سنة 614 هـ -1217م). وكان أديبا وعالماً فى الفقه والحديث. رحل إلى بلاد المشرق ثلاث رحلات استغرقت إحداها ثلاث سنوات فقد بدأها يوم الاثنين 19 شوال 578 هـ وختمها يوم الخميس 22 من شهر المحرم سنة 581 هـ. أى من 3 / 2 / 1182 إلى 25 / 4 / 1185 م. وقد وصف فى هذه الرحلة كل ما مر به من مدن، وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد، وبدائع المصانع، والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية. وعنى عناية خاصة بوصف النواحى الدينية والمساجد والمشاهد وقبور الصحابة ومناسك الحج، ومجالس الوعظ، والمستشفيات والمارستانات، والكنائس والمعابد، والقلاع، ووصف كذلك العواصف البحرية، وما كان يكابده المسافرون من ضيق وذعر، ولم يغفل الحروب التى كانت دائرة بين

المسلمين والصليبيين. وكان شديد الإعجاب بصلاح الدين الأيوبى، دائم الذكر له، كريمًا فى الثناء على حسن إدارته، وعظيم جهاده. وابن جبير كاتب دقيق الملاحظة، واضح العبارة، رصين الأسلوب، يصف الحادثة أو المشهد وصفًا دقيقًا حيًا حتى يخيل للقارئ أنه حاضر يشاهد المنظر بنفسه. والحق أن رحلة ابن جبير كتاب تاريخ، وجغرافية، وأدب .

ابن بطوطة :

ولد أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى المعروف بابن بطوطة(سنة 703هـ)فى طنجة (وتوفى فى مراكش سنة 779 هـ). وقد طاف فى أرجاء العالم الإسلامى، وفى معظم مناطق العالم المتحضر يومئذ. فزار الحجاز والشام والعراق وفارس وآسيا الوسطى وبيزنطة، وبخارى وأفغانستان والهند والصين وسيلان. وعاد إلى بلاده. رحل إلى الأندلس فزار مدنها وعاد إلى وطنه. ثم سافر إلى أفريقيا فزارها ووصل إلى تمبكتو وغيرها من مناطق أفريقيا الوسطى. ووصف ما شاهده في رحلاته هذه فى كتابه المسمى « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » وهو المعروف والمشهور برحلة ابن بطوطة .

أهمية المؤلفات الجغرافية العربية :

والخلاصة أن المؤلفات الجغرافية العربية مصدر مهم لعلماء الجغرافية والتاريخ والاجتماع عمومًا. وأسلوب الجغرافيين العرب سليم، محكم العبارة دقيق التنظيم. والحق أن النثر العربى قد بلغ قمة الجمال الفنى فى كتب المؤرخين والجغرافيين والفقهاء وفى بعض كتب الفلاسفة .

المصادر والمراجع

(أ) المصادر :

1- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواقى الطنجى) - تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .

المعروفة برحلة ابن بطوطة – جزءان، القاهرة 1958 .

2- ابن جبير (محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى) – تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار .

المعروفة برحلة ابن جبير – القاهرة 1955 .

3- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على الموصلى) – صورة الأرض. بيروت .

4- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) – مروج الذهب ومعادن الجوهر (جزءان)، القاهرة 1958 .

5- المقدسي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر) – أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، بغداد .

6- ناصر خسرو – سفرنامة. المعروفة برحلة ناصر خسرو – (الترجمة العربية) – بيروت 1970 .

(ب) المراجع :

1- أغناطيوس بوليانوفتش كراتشكوفسكي – تاريخ الأدب الجغرافى العربي (الترجمة العربية) – جزءان، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم القاهرة 63 / 1965 .

2- حسين مؤنس – تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس – مدريد، 1976 .

3- زكى محمد حسن – الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى. القاهرة 1945 .

4- نفيس أحمد – الفكر الجغرافى فى التراث الإسلامى. (الترجمة العربية). الكويت 1978 .

سابعًا : الفلسفة :

معنى الفلسفة :

الفلسفة كلمة تعنى في أصلها اليونانى حب الحكمة. وموضوعها البحث فى الكون وفى طبيعة الإنسان ومركزه فى العالم وسلوكه الأخلاقى. وأداة الفلسفة فى الوصول إلى المعرفة هى العقل وما اكتشفه من قوانين المنطق وأساليب الجدل والبرهان والاستقراء والاستنتاج .

الفلسفة اليونانية :

حاول الإنسان فهم نفسه، وإدراك حقيقة الكون المحيط به، منذ أن نشأ الوعى عنده. ولكن وسائل الإنسان لفهم القوانين التى تتحكم بالناس والطبيعة كانت محدودة، ولم تتطور إلا بدرجات بطيئة ولهذا السبب كانت معارف الناس الأقدمين مزيجًا من الحقائق المستمدة من الواقع الملموس، ومن الخيالات والخرافات والرموز والسحر. وقد نشأت بدايات التفكير الفلسفى والعلمى فى العراق ومصر والهند والصين. ومن العراق ومصر انتقل التراث الفكرى إلى اليونان، حيث بدأت الفلسفة تزدهر منذ القرن السادس قبل الميلاد، وحاولت أن تقدم تفسيرًا متناسقًا للكون والإنسان، واستعملت مختلف الطرق الموصلة إلى المعرفة. وأهم خصائص الفلسفة اليونانية الإيمان بقوة العقل الإنسانى .

الفلسفة العربية الإسلامية :

اهتم العرب والمسلمون بالفلسفة اليونانية فترجموا كتبها وآراءها إلى اللغة العربية، وعكفوا على دراستها، وشرحها وتفسيرها، وتوضيح غوامضها، واختصار مطولها. لكنهم لم يكونوا مجرد مترجمين وناقلين يرددون ما قاله فلاسفة اليونان، وإنما أنتجوا فكرًا فلسفيًا خاصًا بهم، وأضافوا إلى الفكر الإنسانى إضافات أصيلة. وقد تعددت جوانب الفكر الفلسفى العربى الإسلامى وأهمها: الفلسفة بمعناها الخاص، وعلم الكلام، والتصوف والأخلاق. وهذه الفروع تعنى جميعًا بالوجود، والمعرفة، والدين، والأخلاق، والتربية .

بحث الفلاسفة العرب والمسلمون فى موضوعات الفلسفة المختلفة. فكتبوا فى الطبيعة وفيما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، والمعرفة، والأخلاق، والنفس، وغير ذلك من الموضوعات الفلسفية. وكان معظمهم من المشتغلين بالعلوم الطبيعية والرياضية. وكانت القضايا الدينية من أهم القضايا التى ركزت عليها الفلسفة العربية الإسلامية نظرًا لما كان

للدين من مكانة فى حياة العرب والمسلمين وتفكيرهم. وقد انصبت معظم جهود العرب والمسلمين على محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين .

ولا يظهر إبداع الفلاسفة العرب والمسلمين بالنتائج التى توصلوا إليها فحسب، وإنما فى أسلوب عرضها والمجادلة فيها. ولا يستطيع الطالب أن يستشف أسلوب أولئك الفلاسفة فى البحث والتحليل إلا إذا قرأ شيئًا من كتبهم حيث يشرح كل واحد منهم فلسفته ويوضح رأيه .

أشهر الفلاسفة العرب والمسلمين :

أ- الكندى :

أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندى (المتوفى بعد سنة 257هـ) فيلسوف العرب، ومؤسس الفلسفة العربية الإسلامية. ولد فى الكوفة فى أسرة عربية شريفة تنتمى إلى قبيلة كندة، ودرس فى البصرة وبغداد، وكان على صلة وثيقة بالمأمون والمعتصم والمتوكل. وقد ألف فى مختلف أبواب المعرفة، فكتب فى الفلسفة، والحساب، والهندسة، والفلك والتنجيم والموسيقى، والطب، والعلوم الطبيعية. وتزيد الكتب والرسائل التى ألفها عن 360 كتابًا ورسالة. وقد طبع عدد من رسائله الفلسفية فى جزأين بعنوان (رسائل الكندى الفلسفية) كما طبعت عدة كتب ورسائل أخرى له بأجزاء مستقلة .

تقبل الكندى عقيدة المعتزلة إلا أنه أقامها على أساس فلسفى، وحول النظريات الفلسفية اليونانية وقربها من العقائد الإسلامية. فهو يقر بخلق العالم من العدم. وبعث الأجساد يوم القيامة. كان يرى أن الله القادر على كل شىء خلقت إرادته الفلك الأعلى من العدم، بلحظة واحدة من الزمن.فالخلق يعتمد على فعل من أفعال الله الذى هو فوق قوانين الطبيعة. وكان الكندي يرى فى النبوة أرفع كمال يستطيع البشر بلوغه.وللنبى معرفة إلهية وصلته عن طريق الوحى والإلهام. وهى أرفع درجات المعرفة البشرية، وبناء على هذا فإن القرآن الكريم يمد البشر بحقائق الفلسفة .

2- الفارابي :

ولد الفارابى فى فاراب فى أواسط آسيا. ودرس الفلسفة فى بغداد، ورحل إلى حلب وعاش متـزهدًا فى كنف سيف الدولة الحمدانى، ومـات فى دمشق (سنة 339 هـ 950 م). لقد سُـمى أرسطو بالمعلم الأول لأنه جمع مـا تفرق من مبـاحث المنطق ومسـائله وهذبها. وسُمي الفارابى بالمعلم الثانى لأنه جمع الفلسفة اليونانية ورتبها وشرحها. ولكن أسلوبه كان غامـضًا وعباراته غـير واضحـة. ومن أشهر كتـبه « آراء أهل المدينة الفاضلة » و« إحـصاء العلوم» و«تحصيل السعادة» و« السياسة المدنية » وقد حاول الفارابى أن يفسر نواحى الإسلام المختلفة وجوانب الثقافة العربية الإسلامية المتعددة فى ضوء فلسفته الخاصة. فبحث فى علم الكلام، والعقيـدة، والفقه، والشريعـة، وقواعد النحو، والتـقدير الجمالى للشـعر والنثر، وتنظيم المجتمع الكامل، والصفات الجوهرية التى يتصف بها حاكم هذا المجتمع. وقد شرح فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » نظام المجتمع الإنسانى الأمثل .

3- ابن سينا :

ولد الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا قرب بخارى (سنة 370 هـ - 980 م) وتوفى فى همـــذان (سنة 428 هـ - 1037م). وقد كـان نابغة عـصره في الطب والفلسفـة. وألف كتبًا عـديدة أشهرها « القانون فى الطب » و« كـتاب الشفاء » وملـخصه «النجاة» فى الفلسفة. و« كتاب الإشارات والتنبيهات » وقـد ذكر فيه مباحث فى الطبيعيات والإلهيات والتصوف والأخلاق واعـتمد الأسلوب الأسطورى الرمزى فى بعض رسائله مثل « رسالةحى بن يقظان» و« رسـالة الطير » ولابن سينا عدد كـبير من الرسائل يدور بعـضها على ماهية النفس وقـواها ووجودها ومآلها. ويوضح كتـاب الشفاء شمول الفلسفـة العربية الإسلامية مـختلف موضوعات المعرفـة أحسن توضيح. فهو يشتمل عـلى أربعة؛أقسام هى المنطق، والطبيعيات، والرياضيات، والإلهيات، ويتناول كل قـسم موضوعات متعددة.فقسم الرياضـيات يتناول الهندسـة والحساب والـفلك والموسيقـى. وقسم الطبـيعيـات يتناول علم النفس، والحيـوان، والنبات والجـيولوجيـا أى طبقات الأرض. ويتناول قـسم المنطق، إلى

جانب موضوعات المنطق المعروفة، الخطابة والشعر. ويعرض قسم الإلهيات مع الفلسفة الأولى السياسة والأخلاق. وقد أثر ابن سينا فى الشرق والغرب تأثيراً عظيماً. فقد تأثر به فلاسفة المسلمين الذين جاءوا بعده. وترجمت كتبه الطبية والفلسفية إلى اللاتينية، فكانت أحد ينابيع المعرفة فى أوروبا .

إلى جانب هؤلاء الفلاسفة الثلاثة الكبار لمع فى المشرق عدد من الفلاسفة يضيق بنا مجال البحث عن التوسع بذكرهم ومنهم: أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الفيلسوف والطبيب العظيم، ويحيى بن عدي (المتوفى سنة 364 هـ 975 م)، وهو من أشهر فلاسفة بغداد، وتلميذه أبو سليمان محمد بن طاهر المنطقى السجستانى (المتوفى حوالى سنة 391 هـ 1001 م)، وتلميذه أبو حيان التوحيدى الأديب الفيلسوف .

4- ابن رشد :

انتقلت كتب فلاسفة المشرق إلى المغرب العربى والأندلس فأحدثت فيهما حركة فلسفية كان من أبرز أعلامها ابن باجة (المتوفى سنة 523 هـ 1138م)، وابن طفيل (المتوفى سنة 581 هـ 1185 م) وأشهر كتبه « حى بن يقظان ». وأبو الوليد ابن رشد (المتوفى سنة 595 هـ 1198 م)، وهو أعظم فلاسفة المسلمين المتأخرين، وقد ألف كتبًا عديدة معظمها تلخيص لمؤلفات أرسطو، وشروح لها، وقد نقلت جميعًا إلى اللغة العربية وترجمت منها إلى اللغة اللاتينية، فأحدثت أثرًا عميقًا فى الفكر الفلسفى والدينى اليهودى والمسيحى فى أوروبا. وأشهر مؤلفات ابن رشد « تهافت التهافت » و« فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » وهو يوضح العلاقة بين الفلسفة والدين، ويبين أن الحقيقة واحدة، وإنما تصل إليها الفلسفة والشريعة، كل بطريقتها الخاصة، وتعبر عنها بأسلوب خاص .

علم الكلام :

بين القرآن الكريم أصول العقيدة الإسلامية، ودعا الناس إلى الإيمان بها. وجوهر هذه العقيدة الإيمان بالله ونبوة محمد ﷺ . وقد آمن المسلمون الأولون بهذه العقيدة، وسلموا بها، ولم يتعرضوا لشرحها وتفصيلها. ولكنهم ما لبثوا، بعد الفتوحات، أن تعرضوا لمؤثرات داخلية وخارجية جعلتهم يفكرون فى أصول عقيدتهم، ويدققون فى

فروعها وجزئياتها. ونشأت فى الإسلام فـرق عديدة كانت فى بادئ أمرها سياسية ثم أخذت تتناول أصول العقيدة الدينية .

واختلط العرب بالأمم الأخرى فاطلعوا على عقائدها وأديانها، وترجمت إلى العربية كتب الفلسفة والمـنطق والجدل، كل هذه العوامل دعت إلى البحث فى العقيـدة الإسلامية، وتوضيح أسسها وأصولها، والدفاع عنها بأساليب لم يعرفها العرب من قبل؛ فقد استخدموا الحجج المنطقية، والتعابـير الفلسفية. ومن الجدل فى العقائد ومناقشتهـا وتوضيحها تولد علم الكلام، وسُمي المشـتغلون به: المتكلمين : ويرى بعض الباحـثين المحدثين أن علم الكلام هو الفلسفة الـعربية الإسلاميـة الحقة، فيه تجلـت أصالة العرب المسلمين وفيه ظـهر إبداعهم فى البحث والتأليف.

المعتزلة

وأول من وضع أسس علم الكلام المعتزلة وإمامهم ورئيسهم واصل بن عطاء (المتوفى سنة(131هـ747م) ثم ظهر بعـده عدد كبير من نوابغ المتكـلمين من أشهرهم بشربن المعـتمر (المتوفى سنة210هـ) وإبراهيم بن سيـار النظام البـصـرى (المتـوفى سنة221هـ)وأبوالهذيل العلاف (المتـوفى حوالى سنة 226هـ) والجاحظ (المتـوفى سنة355هـ) ويسمى المعـتزلة أهل العدل والتوحيد كما يسمون أيضاً القدرية. ويتـفق المعتزلة حول أصول خمسة هي: التوحيد والعدل، الوعد والوعيد، السمع والعقل، الصلاح والأصلح، ويختلفون حول فروع كثيرة.

علم الأخلاق:

موضوع الأخلاق

ما معنى الخير والشر؟ وما معنى الفـضيلة والرذيلة؟ وما هو مصدر الخير والشر؟ هل مصدرهما نفس الإنسان وطبـيعته؟ أم مصدرهما من خارج الإنسان ؟ ومـا هو الضمير وما هي درجات الفضائل ؟ وهل الإنسان خير بطبيـعته أم شرير؟ وما هو دور التربية فى تهذيب أخلاق الإنسان وتعويده على فعل الخير؟

يتناول علم الخلاق هذه الأسئلة وغيرها مما يدخل فى موضوعها . ولا يخلو أي دين أونظام فلسفي من قواعد الأخلاق والسلوك ومن أسس شرعية أوعقلية يقيم عليها هذه القواعد الخلقية. ومصدر الأخلاق عند الفلاسفة والمتصوفة المسلمين عمومًا هو القرآن والسنة. والمعرفة والأخلاق عند معظم فلاسفة الإسلام متلازمان. فالإنسان يحصل على المعرفة بتنقية ما فيه من نفس وعقل حتى يعود إلى أصله العقلي، وعالمه الروحي. وسبيل حصول الإنسان على الفضيلة والخلق الحميدة هى سبيل حصوله على المعرفة الحقة، فالشر ناجم عن انغماس الإنسان فى الشهوات المتولدة عن المادة. فإذا فطم الإنسان نفسه عن الشهوات وصدها عن التعلق بالعالم المادى اعتدلت أخلاقه، وكملت فضائله ونال سعادته وأصبح إنسانًا سويًا.

مسكويه :

ومن أعظم الذين عنوا ببحث الأخلاق أبو على أحمد بن محمد مسكويه. (المتوفى سنة 421 هـ - 1030 م). وكان فيلسوفًا، وطبيبًا، ومؤرخًا. ومن أشهر كتبه فى الأخلاق: "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" الذى استهدف فيه توضيح معنى السعادة التى هى غاية الإنسان، وبيان وسائل الحصول عليها. وخلاصة فلسفة مسكويه فى الأخلاق أن الخير هو ما يبلغ به الإنسان كمال وجوده. ويختلف الناس فى استعدادهم لتقبل الخير. فمنهم فئة قليلة هم أخيار بالطبع ولا يمكن أن يفعلوا الشر. ومنهم أشرار كثيرون بالطبع لا يمكن أن يحملوا على فعل الخير. وهناك فئة وسطى من الناس ليسوا أخيارًا ولا أشرارًا بطبيعتهم بل عندهم الاستعداد الفطرى لفعل الخير والشر. فإذا أحسن تأديبهم وتهذيبهم فعلوا الخير، وإذا أسيء تأديبهم وصادقوا الأشرار، ضلوا وارتكبوا الرذائل والمضار. والخير إما خاص أو عام. فهناك خير مطلق يسعى الأخيار جميعًا للوصول إليه وهناك خير خاص بكل إنسان وهو شعور الإنسان بالسعادة أو اللذة ويحقق الإنسان به الخيرعندما يقوم بالأفعال التى تخص طبيعته الإنسانية الخيرة فى أرقى مراتبها. والإنسان لا يستطيع أن يحقق جميع الخيرات الممكنة إذا اعتمد على نفسه فقط. ولذلك يجب اجتماع أفراد كثيرين وتعاونهم لتحقيق الفضائل.

وأول هذه الفضائل هو محبة الإنسان للناس كافة، إذ بدون هذه المحبة لا يمكن أن يقوم مجتمع. ولا يمكن أن يبلغ الإنسان كماله إلا مع أبناء جنسه وبمعونتهم. وهذه المحبة مثل جميع الفضائل، لاتظهر آثارها إلا في جماعة أو مدينة، ولا تظهر آثارها في عزلة الراهب الناسك الذى يفر من الدنيا. إن أساس الأخلاق الفاضلة فى جميع الشرائع الدينية هو محبة الإنسان لأخيه الإنسان وتعاونه على تحقيق السعادة والخير .

ولقد لخص مسكويه نظرياته الأخلاقية فى وصيته التى يوصى بها طالب الحكمة بأن يتحلى بالفضائل الأربع الكبرى وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة. ثم بالفضائل الصغرى التى تتصل بأخلاق الإنسان الشخصية مثل: إيثار الحق على الباطل فى الاعتقادات، والصدق على الكذب فى الأقوال. والخير على الشر فى الأفعال، والجهاد الدائم للنفس. ثم يوصيه بالفضائل العملية كحفظ المواعيد، ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك. والتفكير فى المسألة قبل إبداء الرأى فيها. والإقدام على فعل كل ما كان صوابًا. وإنفاق العمر فى فعل الشيء المفيد لأن العمر قصير، وترك الخوف من الموت والفقر بعمل ما ينبغى، وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد. وذكر المرض وقت الصحة، والهم عند السرور، والرضى عند الغضب ليقل الطغى والبغى. وقوة الأمل وحسن الرجاء والثقة بالله .

المصادر والمراجع

(أ) المصادر .

1ـ ابن حزم الأندلسى (أبو محمد على) - الفصل فى الملل والأهواء والنحل. القاهرة 1320 هـ .

2ـ البغدادى التميمي (عبد القاهر بن طاهر) - الفرق بين الفرق. بيروت 1978 .

3ـ الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) - كتاب الملل والنحل. بيروت 1975

4- النوبختى (أبو محمد الحسن بن موسى) - الفرق الصحيحة. بيروت .

(ب) المراجع :

1ـ إبراهيم مدكور ويوسف كرم ،دروس فى تاريخ الفلسفة، القاهرة: 1944 .

2ـ دي يور وترجمة عبد الهادي أبو ريده تاريخ الفلسفة فى الإسلام، القاهرة: 1938.

3ـ حنا الفاخورى وخليل الجبر تاريخ الفلسفة العربية، بيروت 1957 .

4ـ دى غويه - القرامطة. (الترجمة العربية) بيروت 1978 .

5ـ دى لاسي أو نيري - الفكر العربى ومكانه فى التاريخ. (الترجمة العربية) القاهرة 1971 .

6ـ زاهية قدوره - الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى العصر العباسى الأول. بيروت 1972 .

7- ريتشارد فالتزر وترجمة محمد توفيق. الفلسفة الإسلامية ومركزها فى التفكير الإنسانى، بيروت 1958 .

8ـ عارف تامر - القرامطة. بغداد .

9ـ عبد العزيز الدورى - الجذور التاريخية للشعوبية. بيروت 1962 .

10ـ عبد الرحمن بدوى - مذاهب الإسلاميين (جزءان)بيروت 1971- 1973

11ـ تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى. الكويت 1978 .

12ـ عرفان عبد الحميد - دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية. بغداد .

13ـ فؤاد كامل وآخرون - الموسوعة الفلسفية المختصرة، القاهرة 1963 .

14ـ قاسم غني - تاريخ التصوف فى الإسلام. (الترجمة العربية) القاهرة 1970 .

15ـ كمال اليازجي وأنطوان كرم،أعلام الفلسفة العربية، بيروت 1957 .

16ـ ماجد فخرى تاريخ الفلسفة الإسلامية. (الترجمة العربية) بيروت 1974 .

17ـ محمد رضا كحالة ـ الفلسفة الإسلامية وملحقاتها. دمشق 1974 .

18ـ محمد عمارة ـ الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية. بيروت 1977 .

19ـ محمد إسماعيل – الحركات السرية فى الإسلام. القاهرة 1973 .

20ـ وداد القاضى – الكيسانية فى التاريخ والأدب. بيروت 1974 .

21ـ يوليوس فلهوزن – أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام: الخوارج والشيعة. (الترجمة العربية) الكويت 1976.

الفصل الثانى

نماذج من كتب التراث

ابن النديم، محمد بن إسحق. «الفهرست»، لابن النديم. مع مقدمة شائقة عن حياة ابن النديم وفضل الفهرست، بقلم أحد أساتذة الجامعة المصرية. مصر، المكتبة التجارية الكبرى. 1348 هـ 6 ، 528 ، 8 ص .

« . . أضيفت إلى هذا الكتاب تكملة قيمة لم تنشر من قبل وكانت بين الذخائر المصونة فى المكتبة التيمورية » .

عاش المؤلف فى القرن العاشر الميلادى، واشتغل بالوراقة وتجارة الكتب، وأتيحت له الفرصة ليتصل بالعلماء والأدباء ورجال الفرق والمذاهب، وعشاق الكتب وأصحاب المكتبات الخاصة، والقائمين على خزائن الكتب فى المساجد والمدارس. وكان من أجل ذلك قادرا على تأليف هذه الببليوجرافية الشاملة حيث يقول فى المقدمة: « هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها فى أصناف العلوم وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ». وقد نظم كتابه فى عشر مقالات غطت ألوان المعرفة والعلوم السائدة فى عصره ومن أهمها: اللغات، والخطوط، والأديان، والشرائع ، والنحو، والتاريخ، والسمر ، والشعر ، والتوحيد، والتصوف، والفقه، والفلسفة والمنطق، والكيمياء، والصناعات .

وفى الحق أن ابن النديم يعد الرائد الأول للببليوجرافيات فى التراث العربى والإسلامى، وقد تتابع الببليوجرافيون من بعده يسجلون أسماء الكتب على اختلاف بينهم فى مدى السعة الببليوجرافى وفى طريقة التنظيم، وفى طبيعة المعلومات التى يقدمونها، على أن بعضهم يضع لببليوجرافيته نفس العنوان الذى وضعه ابن النديم لكتابه مثل محمد ابن الحسن الطوسى الذى عاش فى الفترة (995 - 1067 م) وكان أحد أئمة الشيعة، فقد ألف كتابا باسم الفهرست جمع فيه تراجم ومؤلفات حوالى 900 من رجال الشيعة وقد صحح هذا الكتاب وعلق عليه ونشره فى النجف بالعراق محمد صادق آل بحر العلوم سنة (1937 م) فى 196 صفحة ضمن سلسلة « نشريات المكتبة المرتضوية » رقم 95 .

أما كتاب ابن النديم فمصدر أصيل بالنسبة للمؤلفين العرب ومؤلفاتهم حتى القرن العاشر الميلادى وكذلك بالنسبة لما ترجم من كتب الهند والفرس واليونان والسريان إلى اللغة العربية حتى ذلك الوقت. وقد عنى بطبعه ثلاثة من المستشرقين هم « فلوجل Fluegel » و«رودينجر Roedinger» و« مللر Muller » وقد ألحقوا بالجزء الثانى كشافين باللغة العربية مرتبين ترتيبا هجائيا وكشافا ثالثا بالحروف اللاتينية. وقد تمت هذه الطبعة الأولى فى ليبزج فى مجلدين (1871 ، 1872 م) .

* * *

البغدادى، إسماعيل (باشا). «إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون» إستانبول، وكالة المعارف التركية، 1945 م 2 مج .

ولد المؤلف فى مدينة سليمانية بالعراق، وتقلب في كثير من المناصب فى الدولة العثمانية، وتوفى (1339 هـ / 1920 م) فى إحدى ضواحى إستانبول بعد أن أحيل إلى المعاش من وظيفة مدير الشعبة الثانية من دائرة الضبطية بالمحافظة، وكان محبا للبحث، قضى حوالى 35 عاما فى مجهود علمى متواصل يبحث عن الكتب ومؤلفيها، وترك لنا عملين هامين من أعمال البيليوجرافيا: أحدهما **هدية العارفين**، والثانى **إيضاح المكنون**. وقد جمع في هذا الأخير بعض ما فات حاجى خليفة فى كتابه **كشف الظنون** كما أنه أراد به أيضا أن يكمل عمل حاجى خليفة فجمع الكتب التى ألفت بعد تاريخ الإقفال لكشف الظنون في منتصف القرن السادس عشر الميلادى حتى أوائل القرن العشرين. والكتاب يحوى حوالى 19000 كتاب. وقد اتبع فى تنظيمه وفى مادته نفس الطريقة التى اتبعها صاحب كشف الظنون. وهى الترتيب الهجائى الكامل حسب عناوين الكتب الواردة به .

وقد نشرت وكالة المعارف التركية هذا الذيل فى مجلدين فى إستانبول (سنة 1945م). والجزء الأول يصل إلى نهاية حرف الزاى ويبتدئ الثانى من حرف السين إلى النهاية .

* * *

البغدادى، إسماعيل (باشا). «هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» إستانبول، طبع بعناية وكالة المعارف فى مطبعتها، (1951 - 1955) 2 مج، صفحة عنوان إضافية باللغة التركية فى هجائية لاتينية .

ولد المؤلف فى مدينة سليمانية بالعراق وشغل عددا من المناصب فى الدولة العثمانية وتوفى (1339 هـ / 1920 م) فى ضاحية من ضواحى إستانبول، وكان فى حياته محبا للبحث وأنفق سنين طويلة يبحث عن الكتب ومؤلفيها. وهذا الكتاب ليس إلا ثمرة من ثمرات نشاطه الببليوجرافى الدائب، جمع فيه أسماء المؤلفين بما فيهم الشعراء منذ صدر الإسلام حتى القرن العشرين، ويذكر لكل مؤلف اسمه واسم والده ونسبته وشهرته ولقبه، ووطنه، ومذهبه، وتاريخ وفاته، وآثاره. وقد اهتم بالمؤلفين الأتراك فكان يميزهم بكلمة (رومى) .

وقد رتبت أسماء المؤلفين فى الكتاب ترتيبا هجائيا حسب الحرف الأول فقط، فلما نشرته وزارة المعارف التركية ألحقت بكل جزء فهرسا (جدول أسامى) يرتب أسماء المؤلفين ترتيبا دقيقا ويشير إلى الصفحة التى ورد فيها من المجلد، ويضم المجلد الأول أسماء حوالى 5400 مؤلّف. وذكر لهم البغدادى حوالى 25000 كتاب فى مختلف العلوم والفنون، وتبلغ نسبة الشعراء حوالى 25 ٪ وينتهى المجلد الأول بأسماء المؤلفين إلى حرف اللام، ويبدأ المجلد الثاني بحرف الميم إلى الياء شاملا أسماء حوالى ثلاثة آلاف كاتب .

* * *

البلوي، يوسف بن محمد. « هذا كتاب ألف با ». لأبى الحجاج يوسف بن محمد البلوي. القاهرة، المطبعة الوهبية، 1287 هـ / 1870 م 2 مج .

عاش المؤلف فى الفترة (1132 - 1208 م) وحياته الثقافية لا تختلف عن حياة معاصريه من العلماء المسلمين. أخذ بنصيب من علوم التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والبلاغة، والأدب، والتاريخ، والحكمة، والفلسفة، والطب. والمحتويات الموضوعية لكتابه هذا ترجع إلى الأبواب والمسائل التى تبحث فى كتب هذه العلوم فى العادة، ولكن الجديد

فى الكتاب هى تـلك المحاولة التى نظم بها المـعلومات فى الكتاب، فـقد لجأ إلـى الطريقة الهجائيـة ووجدها كما يذكر فى المقدمـة طريقة ملائمة لتقـديم المعرفة إلى ابنه الذى يؤلف الكتاب من أجله، ولهذا أيضًا نجده يختار للكتاب هذا العنوان غير المألوف .

إذا عرفنا أن الطريقة التقليدية فى تقديم المعرفـة العامة كانت الطريقة الموضوعية التى تقسم فيها المعرفة إلى كتل موضوعيـة كبيرة وتعرض كل كتلة كوحدة متكاملة وهى الطريقة التى اتبعها « بلينى » فى موسوعـته التى أنشأها فى القرن الأول الميلادى،وهى الطريقة التى سار عليها الموسوعيون العرب والمسلمون من أمثال القلقشندى فى صبح الأعشى، والنويرى فى نهـاية الأرب، وإذا عرفـنا أن دوائر المعارف بالمعـنى الحديث قـد طرحت تلك الطريقـة وفضلت عليها تقسيم المعرفة إلى عدد كبير من الشرائح الصغيرة وتنظيم هذه الشرائح تنظيما هجائيا - إذا عـرفنا ذلك أدركنا قيمة المحاولة التى قـام بها البلوى منذ سبعمـائة سنة تقريبا على الرغم من تلقائيتهـا وافتقارها إلى كثير من العناصـر الفنية التى نراها فى دوائر المعارف الحديثة .

وقد قام البلوى بمحاولته هذه دون مثال سابق اللهم إلا ما كان موجودا فى القواميس اللغوية التى بدأت فى اللغة العـربية قبل البلوى بأكثر من ثلاثمـائة سنة، وقد تأثر إلى حد كبير بطريقة التقليبات اللغوية الموجودة فى كتاب جمهرة اللغة لابن دريد .

* * *

حاجى خليفـة، مصطفى بن عبد الله. «كـشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون». استانبول، وكالة المعارف، 1941 - 1943 .

عاش المؤلف فـى القرن السابع عـشر الميـلادى (وتوفى في سنة 1658 م)،وقد ولد بمدينة القسطنطينية ونشأ بها ودرس العلوم والفنون السـائدة آنذاك من حساب وهندسة وهيئة وجغـرافيا وطب،ومارس التـدريس بعض الوقت، واهتم كغيـره من الببليوجرافـيين العرب والمسلمين بالكتب والمكتـبات. وكانت القـسطنطينية غنيـة بالمكتبـات التى امتلأت خـزائنها بالكتب العربية وغيرها من اللغات الإسلامـية، فأتيحت له الفرصة لرؤية كنوزها عن كثب،

ثم ارتحل إلى حلب حيث كان يعمل موظفا فى الجيش التركى، وهناك اطلع على أمهات الكتب المحفوظة بمكتباتها .

وقد اطلع على الأعمال الببليوجرافية السابقة مثل **الفهرست** لابن النديم، **ومفتاح السعادة** لطاش كبرى زاده، وأراد أن يضع حلقة جديدة فى سلسلة الببليوجرافيات العربية الإسلامية تكون أوسعها وأشملها فألف هذا الكتاب الذى نتحدث عنه بعد أن عمل فيه ما يقرب من عشرين عاما وجمع فيه زهاء 15000 من أسماء الكتب والرسائل، وما يزيد على 9500 من أسماء المؤلفين، وتكلم عن حوالى 300 علم وفن .

وقد تحدث فى مقدمات الكتاب عن تعريف العلم وتقسيمه، وعن منشأ العلوم والكتب، وعن المؤلفين والمؤلفات، وعن بعض الفوائد المتصلة بالعلم والمعرفة، وبعد المقدمات تأتى مادة الكتاب وقد رتبها هجائيا بحسب حروف الكلمة الأولى من عنوان الكتاب الذى يذكره، فإذا كان للكتاب شروح أو حواش أو تعليقات فإنه يذكرها تالية له. فإذا لم يكن الكتاب عربيا فإنه يقيده بأنه تركى أو فارسى أو مترجم. كما أنه قد يروى ما قاله العلماء بصدد الكتاب من رد أو قبول. أما حديثه عن العلوم والفنون فإنه يتحدث عن كل علم أو فن فى مكانه الهجائى بإسقاط كلمة علم .

وقد عنى بتحقيق هذه الموسوعة الببليوجرافية ليثرن، وأوفى الطبعات هى طبعة «ليبزج» من(سنة 1835 إلى 1958) بتحقيق المستشرق الألمانى فلوجل Fluegel وقد ألحق بها كشافا هجائيا لجميع المؤلفين الذين ورد ذكرهم. وقد طبع فى بولاق (1274 هـ الموافقة 1857 / 1858 م) وطبع من هذه الطبعة مرة ثانية فى القسطنطينية (1311 هـ الموافقة 1893 / 1894 م). وقد رأت وزارة المعارف التركية أن تعيد تحقيق هذا الكتاب فأصدرت الطبعة الجديدة فى مجلدين كبيرين (1941 - 1943) وهى من أحسن الطبعات .

* * *

دير سانت كاترين، سيناء. « فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء » لمراد كامل. القاهرة، المطبعة الأميرية، 1951 2 مج .

فى رأس العنوان : وزارة المعارف العمومية. إدارة إحياء التراث العربى .

مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء بالجمهورية العربية المتحدة مكتبة فريدة فى نوعها، غنية بمقتنياتها المخطوطة كتبا ووثائق، وقد رأى الدكتور طه حسين حينما تولى وزارة المعارف العمومية 1950 ، أن الوزارة تحمل مسئولية أدبية أمام العالم نحو التراث المحفوظ بهذه المكتبة فأشار بإرسال بعثة لتصوير وتسجيل مقتنيات المكتبة. وأشرف على هذا العمل الدكتور مراد كامل أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، والكتاب الذى نقدمه هنا هو الثمرة الحقيقية لإشارة الدكتور طه حسين ولعمل البعثة. وقد كتب الدكتور مراد كامل مقدمة هامة وصف فيها حالة المقتنيات التى وجدوها بالمكتبة وطبيعة العمل الذى قاموا به والطريقة التى ساروا عليها فى الحصر والترقيم والتنظيم. ويضم الجزء الأول مجموعات اللغات الشرقية، وهى العربية والسريانية، والسريانية الفلسطينية، والحبشية، والفارسية، والقبطية، والوثائق العربية، والوثائق التركية. أما الجزء الثانى فيضم مجموعات اللغات الغربية، وهى اليونانية والجورجانية، والسلافونية، واللاتينية، والأرمنية، والبولونية.

* * *

سركيس، يوسف اليان. «جامع التصانيف الحديثة التى طبعت فى البلاد الشرقية والغربية والأمريكية». عنى بجمعه يوسف اليان سركيس الدمشقي. مصر، مكتبة يوسف اليان سركيس، 1345 – 1346 – 1927 – 1928 2 مج .

عنوان غلاف بالفرنسية .

ولد المؤلف (عام 1856 م) فى دمشق ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل بالوراقة وأخرج كتابه هذا ليكون قائمة ببليوجرافية للكتب العربية المنشورة ابتداء من(1920). وقد ظهر الجزء الأول مغطيا من سنة (1920) إلي سنة 1926 ثم الجزء الثانى مغطيا سنة(1927) وقد انقطع الكتاب عن الظهور بعد ذلك. أما ما قبل سنة (1920) فإن للمؤلف كتابا آخر بعنوان: **معجم المطبوعات العربية والمعربة** يغطى الفترة من ظهور الطباعة حتى (1919)، فالكتابان يكمل كل منهما الآخر .

سركيس، يوسف اليان. «معجم المطبوعات العربية والمعربة». مصر، مطبعة سركيس، 1346 هـ / 1927 م 4 ص، 2024ع، 152، 18 ص .

عنوان غلاف بالفرنسية .

بعد أن أخرج المؤلف كتابه **جامع التصانيف الحديثة** فى مجلدين غطيا الكتب العربية المطبوعة فى الفترة(1920 - 1927م) بدأ فى إخراج هذا الكتاب ليغطى الفترة من ظهور الطباعة حتى(1919)، وهو كما يقول المؤلف « شامل لأسماء الكتب المطبوعة فى الأقطار الشرقية والغربية، مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمحة من ترجمتهم ». وقد ظهر هذا الكتاب فى 11 إصدارة من (1928 حتى 1930)، فالكتابان يكمل كل منهما الآخر، ولكن الكتاب الحاضر أكثر مادة لأنه يذكر ترجمة قصيرة لكل مؤلف وكذلك المصادر الببليوجرافية .

* * *

شيخو، لويس. «كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية». بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1924، 286 ص .

صفحة عنوان إضافية بالفرنسية .

عاش المؤلف فى الفترة (1859 - 1927) وقد ملأها بالنشاط العلمى، وقد اهتم كغيره من الآباء اليسوعيين بدراسة التراث العربى فى مجالاته المتعددة، واهتم هو بصفة خاصة بتجميع المخطوطات المتصلة بالمسيحية والمسيحيين، وبدأ ينشر بحوثه عن هذه المخطوطات فى مجلة الشرق، وقد تجمع له فى النهاية عدد كبير من المخطوطات فجمعها ونظمها على ترتيب أسماء مؤلفيها، ثم نشرها فى هذا الفهرس الفريد قبل موته بثلاث سنوات بعد أن أضاف إليها معلومات جديدة وعلق عليها فهرسين واسعين .

* * *

طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى. «مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم». حيدر آباد، الدكن، دائرة المعارف النظامية، 1328 - 1356 هـ 3 مج .

عاش المؤلف فى القرن السادس عشر الميلادى، واهتم بالمعرفة الإنسانية فى حدودها الواسعة وبحصر المؤلفات التى تتناول كل فرع من فروع المعرفة، واستطاع بعد العمل الشاق والجهد المتواصل أن يترك لنا هذه البيبليوجرافية الضخمة. وقد بدأ كتابه بعدة مقدمات من أهمها تلك المقدمة التى يتحدث فيها عن طريقته في حصر المعرفة حيث يقول: «إن العلوم مع كثرة فنونها وتعدد شجونها منحصرة فى أربعة أنواع، وذلك أن للأشياء وجودا فى أربع مراتب فى الأعيان، وفى الأذهان، وفى العبارات، وفى الكتابة. وقد استقرأت أنواع العلوم وتتبعت أقسامها فوجدتها 150 علماولعلى سأزيد عليها إن شاء الله » .

وقد نظم المؤلف كتابه على أساس هذه الموضوعات حيث يذكر الكتب المشهورة فى كل فن ونبذة عن مؤلفيها. وقد اعتمد صاحب **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون** فيما اعتمد عليه حين جمع ببليوجرافيته على **مفتاح السعادة،** فقد كان ينقده فى بعض المواضع، ويزيد عليه فى البعض الآخر، وينقل كلامه بالحرف فى أحيان كثيرة .

والببليوجرافية طبعت فى الهند فى ثلاثة أجزاء، الجزء الأول (سنة 1328هـ)، والثانى سنة(1329هـ)، والثالث سنة (1356هـ) وبآخر الجزء الثانى فهرس للجزء الأول، وآخر للجزء الثانى أطلق عليهما اسم « **فهرس مضامين مفتاح السعادة**»، وفهرس ثالث للجزأين مرتب ترتيبا هجائيا بدون اعتبار لكلمة (علم) التى تسبق الموضوعات المقسم إليها الكتاب، وسمى هذا الفهرس « **فهرس علوم مفتاح السعادة مرتب على حروف التهجى**». أما الجزء الثالث فلم يعمل له مثل هذا الكشاف الهجائى المفيد وليس به إلا فهرس الأبواب التى وردت به .

* * *

القاهرة. الجامع الأزهر. المكتبة. «فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية». القاهرة، مطبعة الأزهر، 1365 - 1371 هـ / 1946 - 1952 6 مج .

للأزهر مركز فريد بالنسبة للثقافة الإسلامية والعربية، أنشئ منذ ألف سنة ليكون مسجدا جامعا للصلاة ولكنه أضاف بالتدريج إلى نفسه مسئولية الرعاية والعناية بالعلوم

الإسلامية والعربية، فوفد إليه العلماء والطلاب من كل أنحاء العالم الإسلامى. والمكتبة الأزهرية التابعة له غنية جدا بكتب التراث العربى والإسلامى بعد أن أضيف إليها كثير من الكتب والمخطوطات التى كانت محفوظة فى خزائن المساجد الأخرى. وفى عام(1946) بدأت المكتبة تصدر فهرسها الحالى فصدر الجزء الأول مغطيا المصاحف، وكتب القراءات، وعلوم القرآن، والتفسير، والمصطلح، وعلوم الحديث الموجودة بالمكتبة حتى 1945، ثم أعيد طبع هذا الجزء مع إضافة الكتب الواردة فى هذه الفنون حتى (1952). أما الجزء الثانى فيغطى كتب أصول الفقه، وفقه الإمام أبي حنيفة، وفقه الإمام مالك، وفقه الإمام الشافعى، وفقه الإمام أحمد بن حنبل، وعلم الفرائض، وحكمة التشريع الواردة للمكتبة حتى (1945). والجزء الثالث يشمل كتب الفقه العام، وعلم الكلام، وعلم المنطق. وآداب البحث، وعلم الفلسفة، وعلم التصوف، وعلم الآداب والفضائل الواردة للمكتبة حتى 1947. والجزء الرابع يشمل كتب علم اللغة، وعلم الوضع، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم البلاغة، وعلم العروض والقافية الواردة للمكتبة حتى (1947). والجزء الخامس يشمل كتب الأدب والتاريخ وتقويم البلدان الواردة للمكتبة حتى (1949). والجزء السادس يشمل كتبا فى موضوعات متفرقة منها الأخلاق والتربية والاجتماع، والقوانين واللوائح، والطب، والحساب والهندسة، والجبر والمقابلة، والفلك، والهيئة، والأدعية والأوراد.. إلخ الواردة للمكتبة حتى(1950).

هذا، والفهرس يشمل ما فى المكتبة من المطبوعات والمخطوطات ويجرى التنظيم على أساس البدء بذكر المطبوعات فى كل موضوع ثم يختم بذكر ما فيه من مخطوطات.

* * *

القلقشندى، أحمد بن على. «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا»، تأليف أبى العباس أحمد بن على القلقشندى. القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1964 14 مج (تراثنا) .

« نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية

مع دراسة وافية » .

عاش المؤلف فى الفترة (1355 - 1418 م) وقد ولد فى قلقشند التابعة لمديرية القليوبية بمصر، واشتغل بالتاريخ والأدب. وقد فرغ من تأليف كتابه هذا قبل أن يموت بست سنوات. وتأليف هذه الموسوعة جاء بعد تأليف موسوعة النويرى بحوالى 80 عاما، والظروف الثقافية والفكرية التى أدت إلى ظهور الموسوعة الأولى أدت أيضًا إلى ظهور هذه الموسوعة، ولكن القلقشندى يوضح الوظيفة المباشرة لتأليف موسوعته حتى فى اختيار عنوانها بأنها لخدمة كتاب ديوان الإنشاء بتجميع المعارف والمعلومات التي يحتاجون إليها وتنظيمها بحيث يسهل عليهم استخدامها والانتفاع بها. والحقيقة أن المدى الفكرى الذى يعمل فى اطاره كاتب الإنشاء فى ذلك الوقت كان من السعة بحيث يغطى الحقائق والمعارف فى المجالات الموضوعية المختلفة من لغة، وأدب، وتاريخ وجغرافيا، وعادات وتقاليد وغيرها. وعلى هذا الأساس فالكتاب الذى يجمع كل ما يحتاج إليه موظفو الديوان من المعارف والحقائق فى البيئة الفكرية التي يعيشون فيها ليس فى حقيقته إلا موسوعة للفكر العربى والإسلامى فى ذلك الوقت، ويستطيع أن يؤدى الوظيفة التى تؤديها دائرة المعارف العصرية فى الوقت الحاضر .

غير أن القلقشندى لم ينظم صنوف المعرفة التى جمعها كما تنظمها دائرة المعارف العصرية عادة، فهذه الدوائر تقسم المعرفة إلى آلاف الشرائح الصغيرة ثم تنظمها جميعا فى ترتيب هجائى يبدأ بأول حروف الهجاء وينتهى بآخرها. أما القلقشندى فإنه كالنويرى يقسم المعرفة إلى كتل كبيرة يضع فى كل كتلة آلاف الحقائق المتصلة بها فى تكوين منطقى أو شبه منطقى، وإذا كان النويرى قد قسم المعرفة إلى خمسة أقسام كبرى فإن القلقشندى جعلها عشرة بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة. ويتحدث القلقشندى في موسوعته عن الخبرات والمهارات الضرورية لكاتب ديوان الإنشاء من النحو والصرف، ومعرفة الأزمان والأوقات، وتاريخ الخط وآلاته، والجغرافيا والتاريخ في أوسع مدلولاتهما، والألقاب والكنى، ومقادير قطع الورق، وبيان المستندات، والفواتح والخواتم واللواحق، وكيفية طى الكتاب وختمه وفضه وقراءته وحفظه فى الإضبارة، ويتحدث عن المكاتبات فى عهد النبى والخلفاء والملوك

من بعده فى شتى المناسبات ولمختلف الأشخاص والأغراض .

وقد نشرته دار الكتب المصرية فبدأت بطبع الجزء الأول منه سنة (1903) ثم أعادت نشر هذا الجزء سنة (1913) ثم تابعت نشر الأجزاء التالية فى 14 مجلدا انتهت من نشرها سنة 1919 وكانت تطبع فى المطبعة الأميرية ببولاق. ثم أعادت دار الكتب نشر الأجزاء الأربعة الأولى منه سنة(1922) إلى سنة (1938) بمطبعة دار الكتب. فلما نفدت الأجزاء من السوق أعيد تصويرها سنة(1964).

* * *

«كتاب دائرة المعارف، وهو قاموس عام لكل فن ومطلب». تأليف بطرس البستانى. مجلد أول - 11، من الألف إلى عثمانية. بيروت، 1876 - 1900 11 مج .

عنوان إضافى بالفرنسية .

مج 8 من غير عنوان، مجلد 10 ، 11 مع بيان نشر: مصر، مكتبة الهلال .

صاحب فكرة هذه الدائرة ومنشئها الأول هو المعلم بطرس البستانى الذى عاش فى الفترة من (1876 - 1900م)،وكان علما من أعلام الأدب العربى فى نهضته الحديثة، عرف الثقافة العربية فى مصادرها الأصلية الغنية كما عرف الثقافة الغربية فى لغاتها الحديثة وأساليبها العلمية الجديدة، وكانت حياته الثقافية بسبب هذه المعرفة المزدوجة خصبة ورائدة. ودائرته هذه هى أول محاولة حديثة فى اللغة العربية لإخراج دائرة معارف كبرى على هيئة دوائر المعارف الغربية الكبرى. وقد قام وحده بتأليف ونشر المجلدات السبعة الأولى، فلما مات قام ابنه سليم البستانى بإخراج المجلد الثامن، ثم قام ابن أخيه سليمان البستانى مع آخرين بإخراج المجلدات التاسع والعاشر والحادى عشر، ثم توقفت الدائرة .

ومن الواضح أن الدائرة بعد أكثر من نصف قرن مر عليها دون مراجعة أصبحت ذات قيمة تاريخية فقط، ولم تعد تقوم بالحاجات المعاصرة ولهذا تكونت لجنة جديدة لإحيائها برئاسة أفرام البستانى بعنوان: **«دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب»** مع عنوان إضافى بالفرنسية. وظهر المجلد الأول فى بيروت (1956)،وقد ظهر الرابع عام (1964)

مغطيا نهاية حرف الألف .

* * *

النويرى، أحمد بن عبد الوهاب. «نهاية الأرب فى فنون الأدب». تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى. القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1964 18 مج (تراثنا) .

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة .

عاش المؤلف فى الفترة (1278 - 1333 م / 677 - 733 هـ) وهو من أصل هاشمى وينسب إلى نويرة إحدى قرى بنى سويف بالقطر المصرى، وقد عاصر الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتولى كثيراً من المناصب منها نظارة الجيش فى طرابلس التي كانت تابعة لمصر وقتئذ .

فى عصر المؤلف كانت الثقافة الإسلامية غنية بآلاف الكتب والرسائل التى تبحث فى نواحى المعرفة المختلفة من لغة، وأدب، وتاريخ، وجغرافيا، وفلك، وحيوان، ونبات، وغيرها. وقد تجمع فى هذه الكتب والرسائل ما عرفه أو نقله الفكر الإسلامى من حقائق أو أساطير فى هذه المجالات. وكان من الصعب على الراغب فى المعرفة أن يقرأ أو يحصل على كل هذه الآلاف المؤلفة من الكتب والرسائل. فأراد النويرى أن ينشئ موسوعة واحدة تضم خلاصة كافية لنواحى المعرفة الضرورية للإنسان المثقف فى ذلك الزمان، ويشبه هذا الهدف ما فعله « بلينى »(المتوفى سنة 79 م)فى كتابه **التاريخ الطبيعى**، فقد كان موسوعة واحدة تبحث فى علم وصف الكون، وعلم الحيوان بما فى ذلك الإنسان، وتاريخ الفنون وتطورها، وعلم النبات، وفى الطب والأدوية، إلخ. . . والوظيفة التى قام بها كتاب بلينى فى عصره وموسوعة النويرى فى زمانها هى الوظيفة التى تقوم بها دوائر المعارف العصرية في وقتنا الحاضر. والفرق بينهما هو فى مستوى المعرفة التى تمثله دائرة المعارف الحديثة بالنسبة للموسوعات القديمة، وكذلك فى طريقة تنظيم المعرفة داخل كل منهما. فدائرة المعارف الحديثة تقسم المعرفة إلى آلاف الشرائح الصغيرة التى تنظم بعد ذلك فى ترتيب

هجائى .

أما النويرى فقد نظم صنوف المعرفة التى جمعها فى خمس كتل كبيرة تناولت الأولى السماء، والآثار العلوية، والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وغيرها. وتناولت الثانية الإنسان وما يتعلق به من النواحى الجسمية والنفسية والخلقية والفنية. وتناولت الثالثة الحيوان بأنواعــه المختلفة. وتـناولت الرابعة النبـات. أما الخـامسة فـقد غطت التـاريخ الأسطورى والحقيقــى حتى عصر المؤلف. والنويرى فى كل هذه الأقسام الخـمسة يوجه اهتمـامًا خاصا إلى الفنون القولية من شعر وحكمــه ومثل، وإلى الوصف الجغرافى، والأسلوب التاريخى، فالكتـاب موســوعة عربيــة إسلاميــة للأدب والجغـرافيا والتـاريخ تتناثر فى ثناياها الحـقائق والأساطير المتصلة بكل موضوعات المعرفة .

وقد ظلت هذه الموسوعة مخطوطة إلى أن شرعت دار الكتب المصرية فى نشرها وقد أتمت منها حتى الآن ثمانية عشر مـجلدا فلما نفدت من السوق صورت المجلدات كلها مرة ثانية (1964) .

* * *

ابن الصــلاح، عثـمان بن عـبد الرحـمن. « علوم الحديث ». القـاهرة، 1326 هـ 164ص.

ولد ابن الصلاح فى شرخان قرب شهر زور، وانتقل إلى الموصل، ثم إلى خراسان، ثم نزل بيت المقدس، حيث أسند إليه التدريس فى المدرسـة الصلاحية، ثم انتقل إلى دمشق فولي التدريس بدار الحديث، (وتوفى فى دمشق سنة 642 هـ). وكان ابن الصلاح من فقهاء الشافعية، عـالما بالتفسير، حافظا للحديث، عارفا لـلرجال. ومن آثاره – غير الكتاب الذى نحن بصــدد التعـريف به – « **الأمالى** »، و« **الفتاوى** » جمـعه بعض أصـحابه، و« **شرح الوسيط فى فقه الشـافعية** »، و« **صلة الناسك فى صـفـة المناسك** » و« **فـوائد الرحلة** »، و«**طبقات الشافعية**». ومعظم هذه الكتب لا يزال مخطوطا .

قسم ابن الصلاح فى كتـابه أنواع الحديث إلى خمسة وستين نوعا، أثبتـها مرتبة في مقــدمة كتـابه، ثم نبه إلى أنه يمكن الزيادة على هذا التـقسيم، (إذ لا تحـصى أحوال رواة

الحديث وصفـاتهم، ولا أحوال متون الحديث وصـفاتها، وما من حالة منهـا ولا صفة إلا وهى بصدد أن تفرد بالذكر وأهلها، فإذا هى نوع على حياله) .

والحق أن كثيرا من الأنواع التى ذكرها ابن الصلاح يمكن دمج بعضها في بعض، وقد أشار إلى ذلك ابن كثير فى كتابه «**اختصار علوم الحديث**». والحق أيضا أن اعتبار السند هو الذى يحدد أغلب الأنواع، فالعلم بالرجال وألقابهم وصفاتهم استنفدت 26 نوعا (من النوع التاسـع والثلاثين إلى الخامـس والستين). أما باقـى الأنواع فمنهـا ما يتعلق بمـتن الحديث كالمدرج والناسخ والمنسـوخ واختلاف الحـديث، ومنها ما يتـعلق بالمصطلحات، كـتقسيـمه الحديث إلى صحـيح وغير صحيح، وتقـسيم كل منهما إلى أقسـام، لكل قسم اسم خاص وحكم خاص،وكذكره للمصطلحات التى وضعت لتدل على كيـفية سماع الحديث، وكيفية التعبيـر عن الأداء بما يناسب حالة التحمل. فهناك فرق بين كلمـة (حدثنا). و(أخبرنا) مثلا، إذ الأولى تدل على أن الشيخ كـان يحدث بنفسه من حفظه أو من كتـابه، أما الثانية فتدل على أن الشـيخ لم يكن يحدث بنفسه،بل كان أحـد التلاميذ يقرأ من كـتاب الشيخ، والشيخ والتلامـيذ يسمعون. ويلاحظ أن هذا التحـديد قد استقر فى زمن متـأخر، أما فى حدود القرون الثـلاثة الأولى فلم يكن الفـرق فى الاستعمـال بين هـذين الاصطـلاحين قد استقر بعد .

وقد تكلم ابن الصـلاح أيضًا عن علل الحديث، والتـصحيف وأخطاء الكتابة وغـير ذلك مما هو من مبـاحث هذا العلم. وهو يعرف بالأنواع تعريـفا موجزا، لأن أغلبـها علوم قائمة بذاتها، ألفت فيها كتب مستقلة .

وطبعـة شرف الدين الكتبي بالهند خـالية من الفهـارس،اعتمـادًا على أن المؤلف قد صدر كـتابه بذكر أنواع الحديث التى سـيتكلم عنها. والحـقيقة أن عناوين هذه الأنواع كـما وضعها ابن الصـلاح لا تدل دلالة دقيقة على مشتـملات الكتاب، فإنه كثيـرا ما يتبع النوع بذكر ملاحظات يسميـها (فوائد)، يتطرق فيها إلى ذكر موضوعـات هامة. فمثلا (النوع الأول من أنواع علوم الحديث مـعرفة الصحـيح من الحديث)،بعد أن يعرف الصـحيح من الحديث، يضع عنوان (فوائد هامـة) يذكر فيها ثمـانية موضوعات، عن تقسـيم الصحيح

ودرجاته، ومن أول المصنفين فى الصحـيح؟، وهل استوعب البخارى ومـسلم الصحيح.. إلخ .

كما أنه ضمّن كتابه بعض آرائه التى كانت مثـارا للمناقشة ومحلا للاعتراض، كرأيه فى أن ما اتفق عليه البخارى ومسلم مقطوع به، وأن العلم اليقينى واقع به، بل إن ما انفرد به البخارى أو مسلم مندرج فى قبيل ما يقطع بصحـته، لتلقى الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول .

ومقدمـة ابن الصلاح في مركز الوسـط بين كتب المتقدمين والمتـأخرين. فقد اسـتفاد المؤلف ممن كتب قبله فى علوم الحـديث كالرامهرمزى، وأبى عبد الله الحـاكم النيسابورى، والخطيب البغدادى فى كـتابيه (**الكفاية**)، و(**الجامع**). ثم كتـب ابن الصلاح كتـابه هذا فكان أشبه باخـتصار متقن لعـمل من سبقه. كما كـان إماما لمن أتى بعده، فقـد نال كتابه شهرة كبيرة، وجـذب العلماء إلى دراسته ومناقشته، والعناية بشرحـه واختصاره. وقد قال برهان الدين الإيـناسى فى **شرح المفـتاح من علوم ابـن الصلاح**: «إن هذا الكتـاب أحسن تصنيف فى علوم الحديث ».

فممن شرحه أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى (ت 806 هـ). وعز الدين محمد بن أحمد بن جماعة (ت 819 هـ) .

وممن اختصره أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 776 هـ) وسماه (**الإرشاد**)، ثم اختصره وسماه (**التقريب**). واختصره أيضا ابن كثيـر (عـماد الدين إسماعيل بن عمر ت 774 هـ) .

واسم الكتـاب كمـا نص عليه مـؤلفه في مـقدمتـه هو **(كتـاب معـرفة أنواع علم الحديث)**. ولكنه اشتهر **بمقدمة ابن الصلاح**، وتعددت عناوينه بتعدد الطبعات :

1- فعنوان الكتاب فى الطـبعة الهندية هو **(مقـدمة ابن الصلاح فـى علوم الحديث)** تصنيف الإمام المحدث الحافظ أبى عمرو عثمـان بن عبد الرحمن الشهرزورى، (المتوفى سنة 642 هـ / 1244م). وعدد الصفحـات فى هذه الطبعة 202 من القطع المتـوسط. وتاريخ

الطبع (سنة 1357هـ) بالمطبعة القيمة، بومبيى، الهند، والناشر هو شرف الدين الكتبي وأولاده .

2- وقد طبع قبل ذلك على الحجر بالهند أيضًا(سنة 1314 هـ) باسم **(مقدمة ابن الصلاح فى مصطلح الحديث)** فى حوالى 336 ص .

3- وطبعة ثالثة باسم **(علوم الحديث، المعروف بمقدمة ابن الصلاح)**، نشر وتقديم محمد راغب الطباخ الحلبى. مطبعة حلب العلمية بحلب سنة 1931 م فى 431 ص. وطبع معه شرحان: أحدهما **(التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح)**، والثانى **(المصباح على مقدمة ابن الصلاح)** .

4- وطبع بالقاهرة باسم **(علوم الحديث)** سنة 1326 هـ فى 64 ص .

* * *

ابن حنبل، أحمد بن محمد. « مسند الإمام أحمد بن حنبل ». القاهرة، المطبعة الميمنية، 1313 هـ، 6 مج .

المؤلف هو الإمام الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيبانى. ولد أبو عبد الله(سنة 164هـ)ببغداد ونشأ بها وطلب العلم بها (سنة 179هـ)، ورحل إلى الكوفة والبصرة، ومكة والمدينة واليمن، والشام،والجزيرة وغيرها. ولقى كبار شيوخ عصره. كان سريع الحفظ، جيد الضبط، قوى الحافظة، واسع الاطلاع، وكان إذا سئل كأن علم الدنيا بين عينيه، وكان يحفظ ألف ألف حديث. اشتهر بفقهه وتمسكه بالسنة،تلقى عنه كثيرون، منهم الإمام البخارى، ومسلم، وأبو داود. وكان مضرب المثل فى الصبر والتجلد، فقد ثبت ثبوت العلماء الأبطال في محنة خلق القرآن، وأصابه ما أصابه دون أن يتراجع عن عقيدة السلف فى شأن القرآن، حتى قال على بن المدينى إن الله عز وجل أعز هذا الدين بأبى بكر الصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة. وقد شهد له العلماء بالعلم والفضل والإمامة، من هذا قول الإمام الشافعى: « خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل ». وكان

عالما زاهدا عابدا. (توفى يوم الجمعة 10 من ربيع الأول سنة241هـ ببغداد).

اختار الإمام أحمد ما في مسنده من سبعمائة ألف حديث، ولم يخرج فيه إلا عمن ثبت عنده صدقه وديانته دون من طعن فيه، ورتبه على مسانيد الصحابة، وعدة أحاديثه نيف وثلاثون ألف حديث، أخرجها عن نحو سبعمائة صحابى وعن ست وتسعين صحابية، ومن أشهر من روى عنه المسند ابنه عبد الله، وكتبه بيده وضم إليه بعض الزيادات وبينّها بكل أمانة وإخلاص ودقة. وقد صدر بمسانيد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة. ويعتبر مسند الإمام أحمد أوسع وأجمع مصنف فى الحديث، فقد جعله الإمام أحمد إماما، إذا اختلف الناس فى سنة رسول الله ﷺ رُجع إليه، وكأنه أراد أن يستوعب السُّنة في مسنده، وقد تضمن الكتب الستة إلا القليل، وفيه الصحيح، والحسن، والضعيف، وأكد العلماء خلوه من الموضوع .

وموقف الإمام أحمد بن حنبل من قضية خَلْق القرآن وهل هو قديم أو مخلوق موقف العالم الفقية الورع الذى لا يحيد عن الحق مهما نُكِّل به أو عُذّب .فقد ظل على موقفه من أن القرآن قديم ويرتبط قدمه بقدم الله عز وجل ولم يتراجع عن هذا الموقف رغم ما عاناه من صنوف التنكيل والتعزيب.

والأمام أحمد هو الإمام الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى الوائلى، إمام المذهب الحنبلى وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وولد ببغداد. فنشأ على طلب العلم، وسافر فى سبيله أسفارا كثيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف، وغيرها. ويعتبر شيوخه وتلاميذه الأئمة الكبار فى علوم الحديث والفقه واللغة والأدب فى عصره. وكان إماما فى الحديث وضروبه، إماما فى الفقه ودقائقه، إماما فى السنة وطرائقها، إماما فى الورع وغوامضه، إماما فى الزهد وحقائقه. وقد توفى ببغداد (سنة 241 هـ) .

ومسند الإمـام أحمد من أوسع كتـب السنة وأجمعهـا، تضمن ما فى الكتب الستة الصحـاح إلا القليل ورتب على مسـانيد الصحـابة، وجمعت فـيه أحاديث كل صـحابى، ومجموع ما فيه من الأحاديث أكثر من ثلاثين ألفا، فأصبح كما وصفه الإمام أحمد نفسه: « عملت هذا الكتاب ليكون إماما، إذا اختلف الناس فى سنة رسول الله ﷺ رجُع إليه » .

وقد طبع هذا المسند فى ستة مجلدات كبـار بالمطبعة الميمنية بالقاهرة سنة (1313هـ)، ثم قام المرحوم الشيخ أحـمد محمد شاكر بإعادة طبـعه طبعة علمية محقـقة محررة، صدر منها 15 جزءًا. ثم اخترمته المنية دون إكمال .

* * *

ابن عابدين، مـحمد أمين بن عمـر. « رد المحتار على الدر المخـتار على متن تنوير الأبصار ». القاهرة، المطبعة الأميرية، 5 مج .

ولد المؤلف بدمشق(سنة 1198 هـ / 1784 م)،(وتوفى فى سنة 1252 هـ / 1836 م) بدمشق أيضا، وقـد كان فقيه الديار الشامـية، وإمام الحنفية فى عصره. وقـد نشأ في أسرة علمية، وأخـذ عن كبار علماء ذلك العصر. وقـد ترك ثروة علمية كبيرة منـها: رد المحتار وهو الذى نحن بصـدد الكلام عنه، **ورفع الأنظار على ما أورده الحلبى على الـدر المختار، والعقود الدرية فى تنقيح الفـتاوى الحميدية**، وهما مطبوعان. **وبسمات الأسحار على شرح المنار** فى أصول الـفقه، وهو مـطبوع، **والرحيق المختـوم في الفرائض**، وهو مطبوع أيضا، وحواش على تفسير البيضاوى، وقد التزم فـيها ألا يذكر شيئا ذكره المفسرون، **وحاشية على المطول فى البلاغة. ومجموعة رسائل تقع فى مجلدين**، وهى مطبوعة وتضم 32رسالة في موضوعات مختلفة، **وعقود اللآلى فى الأسانيد العوالى**. . . إلى غير ذلك .

وقد ألف ابن عابدين كتابه رد المحتار وجعله حاشية على كتاب الدر المختار الذى هو شرح لمتن تنوير الأبصـار فى فقه الحنفـية، ولكنه لم يكمل تبيـيضه - على مـا ذكر ابنه في مقدمة التكملة التى أكـمل بها كتاب والده، بل وصل فيه إلى مطلب دعوى إلهـية من غير قبض، ثم أكـمله ابنه محمد عـلاء الدين، وكان من فقهـاء الحنفية الأجلاء كـوالده. وقد

أسمى التكملة « **قرة عيون الأخبار** ». ويتخلص المنهج الذى سار عليه ابن عابدين في رد المحتار فى عدة أمور :

(أ) كان إذا وردت عبارة فى الدر المختار تشير إلى كتاب أخذ منه مضمون هذه العبارة - يذكر ابن عابدين نص عبارة الأصل الذى أخذ منه صاحب الدر، ثم يذكر ما قد يظهر له من معنى فى عبارة هذا الأصل، ويبين مدى ملاءمة عبارة الدر لعبارة الأصل، ثم يسرد عبارات كثير من المؤلفين فى هذه المسألة ويمثل لك ذلك ما جاء خاصا بسفر الرجل بزوجته إذا دفع لها كل مهرها معجلة ومؤجلة. فقد قال صاحب الدر المختار: « والذى عليه العمل فى ديارنا أنه لا يسافر بها جبرا عنها، وجزم به البزازى » جـ 2 ص 556 الطبعة الأميرية. فقد علق ابن عابدين على قوله: « وجزم به البزازى » بقوله: « كذا فى المهر مع أن الذى حط عليه كلام البزازى تفويض الأمر للمفتى » ثم ساق عبارة البزازى التى فى هذا الموضوع وأبان أنها لا تتفق مع دعوى صاحب الدر أن البزازى جزم بذلك .

(ب) كان يهتم ببيان عبارة الدر المختار وينبه إلى ما فيها من قصور عن شمولها للمطلوب في المسألة، أو ما قد يكون فيها من إطلاق يجب تقييده بناء على ما ورد من فروع تستلزم ذلك فى كتب المذهب .

(جـ) كان يأتى فى كثير من الأحيان بما يكمل النقص فى الفروع التى ذكرها صاحب الدر، أو ما تحتاج إليه من زيادة بحث ويضع ذلك تحت عنوان (تتمة). كما أنه كان فى كثير من الأحيان يذكر كثيرا من المراجع التى وردت فيها المسألة، ويسرد عباراتها، ويقارن بينها من حيث اتفاقها مع ما جاء من فروع المذهب .

(د) كان إذا أورد على صاحب الدر فى عبارة إيرادات لبعض أصحاب الحواشى عليه ويراها واهية ردها وبين وجه رده مع عدم التعصب لصاحب الدر .

(هـ) كان يفرد كل فرع ورد فى الدر إلى أصله الذى أخذ عنه صاحب الدر، وكان يعزو الحجج والتعليلات لأصلها، ويمثل لك ذلك ما جاء فى المؤتم لإمام يصلى عند الكعبة وكان أقرب من إمامه إلى جدار الكعبة تفسد صلاته. فقد ذكر صاحب الدر ذلك فقال: «

ولو وقف مسامقـا الركن في جانب الإمام وكان أقرب لم أره، وينبغي الفسـاد احتياطا. . . إلخ » وهنا قال ابـن عابدين: « البحث للشـرنبلالى فى حـاشية الدرر، وكـذا للرملى فى حاشية البحر » ثم أخذ يذكره ويبين ما فيه .

و كـان يبين أقوى الأقـوال التى ترد فى المسألـة، ويبين ما عليـه الفتـوى من هذه الأقوال وإن لم يكن أقواها، كما أنه كان إذا ذكر ما يفتى به فى الجهات المختلفة بيّن الراجح منها من المرجوح، إذا جاء سردا فى الشروح دون بيـان للراجح عن غيره. وكان يعتمد فى ذلك - على ما نبه إليه هو في مقدمة كتابه - على ما نقل عن المحققين من المتأخرين، مثل الكمال بن الهمام، وتلميذه ابن أميـر الحاج، والرملى، وابن نجيم. والحانوتى وغيرهم ممن اشتهر بالفتوى من علماء الحنفية .

فمادة الكتـاب - كما يتضح لك مما تقـدم - غزيرة ترجع فى استمـدادها إلى النقول الكثيرة من كـتب المحققين من علماء الحنفـية المعتمدين فـى المذهب، وقد جاءت هذه المادة محررة، لأن صاحب الكتاب كان يقابل المنقول بعضه على بعض، ويبين ما يتفق منها مع ما ورد من روايات فى المسألة عن أئمة المذهب مع بيان ما يكون راجحا من هذه المنقولات .

وأما قيمته العلمـية: فإنه يعتبر موسوعة فقهـية فى فروع مذهب الحنفية، مع رد هذه الفروع إلى مـرجعها من الكتب المعـتمدة، وجامـعا هاما لآراء المحقـقين من فقهاء الحنـفية وتخريجاتهم لما ورد عن أئمة المذهب وردها إلى قواعد المذهب. ولا يزال هذا المؤلف يعتبر من أهم المراجع للقضاة والمفـتين والباحثين فى مذهب الحنفية لدقـة بحثه وتحرير الآراء التى جاءت فيه، فهو من حيث قيمته العلمـية في محيطه من الكتب التى لا يستغنى عنها متفقّه لكثرة جمعه ودقـته وتحرير مسائله ورد الآراء إلي قائليها والعـبارات المختلفة فى المسألة إلى أصحابها .

* * *

ابن قدامــة، أبو محــمد عبــد الله بن أحمــد بن محمــد. « المغنى ». لأبى محــمد عبد الله بن قدامة. وقد طبع بدار المنار وعليه تعليقات للسيد محمد رشيد رضا فى 9 أجزاء يبلغ عدد صفحاتها نحو 5500 صفحة من القطع المتوسط .

اشتهر المؤلف باسم ابن قدامة، وباسم المقـدسى. وهو موفق الدين أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن مـحمد بن قدامة المقـدسى، ثم الدمشقى الصالحى. ولد فى شـعبان(سنة 541هـ) بجمـاعيل، وقدم دمـشق مع أهله وله عشر سنين، فـقرأ القرآن وحـفظ مختـصر الخرقى، ثم رحل إلى بغداد سنة (561 هـ) وسمع من خلق كثير وقـرأ مختصر الخرقى على الشيـخ عبد القـادر الجيـلانى، ثم سمع بمكة من المـبارك بن الطبـاخ وقرأ عليه أيـضا متن الخرقى. ولما توفى الشيخ لازم أبا الفتح بن المنى، وقرأ عليه المذهب والخلاف والأصول حتى برع. قال فيه الإمام ابن تيمية: « مـا دخل الشام بعد الأوزاعى أفقه من الشيخ الموفق رحمه الله»، وقد أفـرد الحافظ ضـياء الدين المقدسى سـيرته فى جـزأين، وكذلك أفـردها الحافظ الذهبى.

كان رحمه الله إمـامًا فى القرآن وتفسيره، وفى علم الحـديث ومشكلاته، إلى جانب أمامته فى الفقه والأصول. وله ثمانية وعـشرون كتابا قيّما فى أصول الدين، وفى الحديث، وفي الفقه، وفى أصول الفقـه، وفى الفضائل والزهد والرقائق. وفد توفى (سنة 620 هـ)، ومن أهم آثاره: **البرهان فى مسألة القرآن. كتـاب القدر. مختصر العلل** وأصله العلل الذى ألفه الخلال **وروضة الناظر فى الأصول**، وهو مطبوع .

و « **المغنى**» شرح لمتن مشـهور فى المذهب الحنبلى، **هو مختصر الخرقى**، وهو متن يعرفه ويقدره جميع فقهاء الحنابلة، كمـا يعرفون ويقدرون مؤلفه أبا القاسم عمر بن الحسين الخرقى (المتوفى سنة 334هـ)، والذى تتلمذ على ابنى الإمـام أحمد (صالح وعـبد الله)، وعلى أبى بكر المروزى وحرب الكرمانى من كـبار فقهاء المذهب، وقد بلغ من عنـاية فقهاء الحنابلة بهـذا المتن أنه شـرح بثلاثمـائة شـرح، وإن شيخ الإسـلام ابن قـدامة كـان بين من شرحوه، وكتابه فى شرحه هو المغنى الذى نعرفه به هنا .

ومع أن المغنى شرح لمختصر فى الفقه الحنبلى كما رأينا، فإننا نلاحظ ونحن نقرؤه أنه

كتـاب فى فقه المسلمين كافـة، لأنه يذكر أقوال علمـاء الصحابة والتابعين وعلمـاء الأنصار المشهورين، كالأئمة المتبوعين، ويحكى أدلة كل منهم، لا يحمله التعصب على كتمان شىء من أدلة الأحناف أو المالكية أو الشافعية، ولا يتكلف الطعن فيها كما يفعل أهل الجمود من المقلدين، ولا ينتـقص أقدارهم إذا رجح - للدليل - مـذهب الحنابلة على مذاهبـهم. وقد كان منهجه فى تأليف الكتاب يتلخص فيما يأتى :

1- إنه لخص لنا مذاهب فـقهاء المسـلمين المجتهـدين بأدلتها، فى أمـهات الأحكام، ومهمات المسـائل،فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهـب الكثيرة فيما نحتـاج إلى الوقوف عليه منها، وعن مراجعـة كتب السنن والآثار لمعرفه أدلتها، ومذاهب علمـاء الصحابة والتابعين، ومسائل الإجماع والخلاف .

2- إنه يعمد إلى سلامة العبارة ووضـوحها، وفهم المراد بها لأول نظرة، إنه لا يجهد قارئه، ولا يتطلب منه استغراقا في التفكير .

3- أنه كان يذكر ما يلـزم للفروع من الأصول، ثم يستوفي الفروع فى جـميع مسائل المذهب، وهى مسائل الفقه الإسلامى عامة، فلم يدع شيئا منها إلا ذكره واستدل له مخالفا لمذهبه أو موافقا. ثم ناقش فى اعتدال وحَيدة تكاد تكون تامة كل مسألة تحتاج إلى المناقشة .

4- إنه اعتبر الموضوعات الكبرى كتبا، وأدرج تحت كل كتاب أبوابا وفصولا، فوضح بذلك منهجه المنطقى فى علاج جميع مسائل الفقه وفروعه .

* * *

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبى بكر. « أعلام الموقعين عن رب العالمين».

المؤلف هو الإمـام المصلح، مـحـمـد بن أبى بكر، أحـد كـبـار العلمـاء، ولد فى دمشق(سنة 691 هـ / 1292م)،ونشأ فى بيت علم وفـضل، فقد كان أبوه « قـيم الجوزية » وهى مدرسة كانت بدمشق، ومن أجل ذلك قيل له ابن قيم الجوزية .

تفقـه على مذهب الإمام ابن حنبل، وكـان تلميذا للإمـام ابن تيميـة، ولازمه طول حياته، وتلقى عنه علمه، ونشره، وجادل عنه .

وقد ترك ابن القيم ثروة علمية كبيرة فى التـفسير والفقه والأصول والكلام، منها زاد

المعاد، والطرق الحكمية، واجتماع الجيوش الإسلامية فى الرد على المعطلة والجهمية... إلخ، وهو يمتاز فى مؤلفاته بعمق الفكرة وطلاوة العبارة وهدوئها،(توفى بدمشق سنة 751 هـ / 1350 م) .

وأعلام الموقعين كتاب فى الفقه والأصول، والتاريخ، بدأه مؤلفه بعد حمد الله والثناء عليه بالحديث عن التلقى عن النبى ﷺ، فبين أنه نوعان: نوع بواسطة، ونوع بغير واسطة، وكان الثانى حظ الصحابة الذين فاقوا سواهم فى كل مجال، ثم أشار إلى ذم التعصب، وخروج من اتصف به من زمرة العلماء، وذكر بعد هذا أن العلماء منحصرون في قسمين: أحدهما حفّاظ الحديث، والثانى فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم، والناس جميعًا تبع للعلماء، لأنهم النجوم التى يهتدى بها فى الظلماء،ثم تحدث عن فقهاء الصحابة والتابعين، ومواطنهم، وانتقل إلى الكلام عن الإمام ابن حنبل وشرح أصول فتاويه، وأخذ بعد هذا يعرض للمسائل الفقهية والأصولية عرضا يجمع بين العقل والنقل، فهو يسوق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويأتى بأقوال السلف الصالح من الأئمة المجتهدين، ولا يكتفى بهذا، لكن يأتى كذلك بالبراهين العقلية والعلمية ويتخذ أحيانا طريقة المناظرة الجدلية فى استفاضة وبسط مقنع. والمؤلف لا يعرف التعصب، بل يذمه ويحمل عليه، ولذلك ينتصر للرأى الصحيح دون نظر إلى قائله، فهو يتبع المنهج الموضوعى فى دراسته، ولا ينحاز إلى أحد حتى ولو كان إمامه ابن حنبل، أو شيخه ابن تيمية،فكان يخالفهما فى بعض الأحيان ويجهر بالرأى الذى يراه صوابا .

وكتاب أعلام الموقعين يمثل الفقه الإسلامى الحى المتطور حسب الزمان والمكان، لأنه حمل على التقليد والمقلدين، وذم أصحاب الرأى الذى لا يسنده دليل. ودعا إلى الاجتهاد واستلهام روح الشريعة وفقهها من مصادرها الأساسية،والاستهداء بآراء فقهاء الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، كما أخذ بتلابيب أرباب الحيل والبدع،وكشف عوار اتجاههم، وخطر آرائهم، وضعف أدلتهم.

* * *

البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. « صحيح البخارى ». للإمام محمد بن إسماعيل البخارى. طبع بإشراف الشيخ حسونة النواوى مع لفيف من العلماء. القاهرة،

المطبعة الأميرية، 1311 - 1313 هـ، 3 مج .

المؤلف هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفى البخارى، ولد (سنة 194 هـ) فى مدينة بخارى، وتوفى أبوه وهو صغير،فنشـأ يتيما فى حجر أمه، وطلب الحديث صغيرا، وكان أول سماعه سنة (205 هـ)، وحفظ تصانيف أئمة عصره، ورحل مع أمه وأخيـه حاجا سنة (210 هـ)، ثم أقـام فى المدينة المنورة، حيث صنف كـتابه «التـاريخ الكبـير»، ورحل فى طلب العلم إلـى بغداد والبـصرة والكوفـة ومكة والشام، وحـمص، ومصر، وغـيرها، وسمع كـثيرا، وكتب عن أكـثر من ألف شيخ، وكان مـضرب المثل في سرعة حفظه، وقـوة حافظته، وحدة ذكائه، وعلت منزلته، وذاع صيتـه، حتى أصبح إمام المسلمين فى الحديـث، وكان يحفظ مـائة ألف حديث صحـيح، ومائتى ألف حديث غـير صحيح، كان ثاقب الذهـن، أحد الأعلام فى معرفة الصحـيح والسقيم والكشف عن علل الحديث، وقد شهـد له العلماء بالإمامة والفضل والعبـادة والورع.(توفى رحمه الله فى 30 رمضان سنة 256 هـ) بقرية « خرتنك »قريبا من سمرقند، وترك نحوا من عشرين مصنفا في الحـديث وعلومه ورجـاله، تدل على سعـة علمـه وعظم مكانته، منهـا **الجامع الصحيح، والأدب المفرد**، طبع. **والتاريخ الكبير**، طبع بالهند، **والضعفاء**، طبع أيضا، وغير ذلك .

وكتابه هو « **الجامع الصحيح المسند المختـصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه** » كما سماه البخارى نـفسه، وقد اشتهر **بالجامع الصحيح، وبصحيح البخارى، وبالبخارى**، وقد صنفـه فى الحديث الصحيح فـقط، ولم يجعله مخـتصا بنوع من الحديث دون غـيره، فجعله جامـعا لأحاديث الأحكام، والفضائل والأخبـار والآداب والمواعظ وغير ذلك. ولم يخرج فيه إلا عن الرواة الثقـات. ورتب الأحاديث على الكتب والأبواب، وعنون معظمها ببيـان المعانى والأحكام التي تناولتها الأحـاديث الواردة فى كل منها، فكانت عدة أحـاديثه الأصول من غير تكرار (4000) حديث، وعدتها بالمكررات (7297) حديثا سوى ما فيه عن الصحـابة والتابعين وغير ذلك. وقـد اختارها من ستـمائة ألف حديث،واستـغرق فى جـمعـه وتهذيبـه ست عـشرة سنة حـتى تم له تصنيـفه على الوضع الـذى بـين أيدينـــا، وجعـله«حجة بينه وبين الله سبحانه وتعالى » .

ولم يجمع البخارى جميع طرق الحديث فى مكان واحد، بل ذكر بعض الأحاديث في مواضع مختلفة لفوائد رآها، وقطع بعضها وجعلها في مواضع عدة لبيان حكم أو زيادة فائدة، وبهذا جمع فوائد كثيرة واستنباطات فقهية جيدة، لا توجد فى كتاب غيره. وطبع مرارا فى مصر وإستانبول والهند وغيرها، كما ترجم إلى عدة لغات أجنبية .

ولذا استحق أن يتصدر كتب الصحاح والسنن جميعا، وقد نال عناية الأمة، واهتمام العلماء، فعكفوا على دراسته وحفظه، وعلى شرحه وتهذيبه وفهرسته وبيان فوائده، ومن أشهر شروحه كتاب « **فتح البارى** » لابن حجر العسقلانى (المتوفى سنة 852هـ) وقد طبع أكثر من مرة .

* * *

الزمخشرى، محمود بن عمر. « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ». القاهرة، المطبعة الأميرية 1318 هـ، 3 مج .

المؤلف هو اللغوى المفسر والعالم المدقق محمود بن عمر الزمخشرى، نسبة إلى زمخشر، إحدى قرى خوارزم،(ولد سنة 467 هـ)،ونشأ فى أسرة فقيرة تقية ظفرت بحظ من علم وأدب، وقد رحل إلى بخارى لطلب العلم، وتتلمذ هناك على علمائها، ثم رحل إلى خراسان طلبا للمجد والسلطان، ثم إلى مكة واليمن، وهو فى كل رحلاته كان حريصا على طلب العلم فى إخلاص ودأب، حتى صار إماما فى اللغة والبلاغة والتفسير والنحو والأدب .

والزمخشرى فى آرائه معتزلى، وقد دافع عن المعتزلة فى مؤلفاته وبخاصة فى الكشاف وكان مع هذا شاعرا مجيدا .

ترك ثروة علمية ممتازة منها « **الفائق فى غريب الحديث** » و «**ربيع الأبرار**» و «**مقدمات الزمخشرى**» و « **مقدمة الأدب** » و « **أساس البلاغة** » وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية. ثم(توفى بجرجانية خوارزم سنة 538 هـ).

و«الكشاف»كتاب فى تفسير القرآن الكريم، له سمة خاصة ومميزات ينفرد بها، ألفه

صاحبه فى ثلاث سنوات وبدأ في تأليفه (سنة 526 هـ) فى مكة، وقد ذكر فى مقدمته بعض العوامل التى دفعته إلى تأليفه فقال: « ولقد رأيت إخواننا فى الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية(يعنى علماء المعتزلة) كلما رجعوا إلىّ فى تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا فى الاستحسان والتعجب، واستطيروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك، حتى اجتمعوا إلى مقترحين أحدهما أن أملى عليهم « **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل** » .

وأما منهج الزمخشرى فى تفسيره فهو كما يلى :

أولا : يؤمن الزمخشرى بالعقل إيمانا مقدسا، ولذلك يقف أمام النص القرآنى وقفة عقلية يبرزها فى صورة نقاش يبين فيها الجهد العميق الذى بذله مفكرا مستنبطا المعانى، وهو في هذا النقاش يتبع أحدث المناهج العلمية، فيضع نصب عينيه كل الاحتمالات المعارضة والمحاجة فيما أمامه من نص يفسره ويناقشه .

ثانيا : اهتمامه بالبحث عن تآلف معانى ألفاظ الآية الواحدة وتآخيها، ويتعدى ذلك إلى نسق القرآن المعنوى كله .

ثالثا : الزمخشرى مؤمن بآراء المعتزلة، ويظهر ذلك فى تفسيره بصورة واضحة، فهو يقف أمام الآى التى يناصر ظاهر معناها آراء المعتزلة فيجعلها محكمة، وتلك التى يخالف ظاهرها أصول الاعتزال فيجعلها متشابهة، ثم يحاول بعد ذلك تفسيرها بما يوافق آراء المعتزلة وقد سخر اللغة والنحو والقراءة فى سبيل نصرة الاعتزال .

رابعا : يفسر الآى التى لا يمس معناها الاعتزال ولا مبادئه تفسير الأثريين النقليين .

خامسا : يعتمد فى بيان المعانى على لغة العرب وأساليبهم .

سادسا : يعنى بعلمى المعانى والبيان والنكات البلاغية التى في الآيات تحقيقا لوجوه الإعجاز .

سابعا : يعرض آراء الفقهاء، ويناقشها مناقشة تخدم تفسير آيات الأحكام، وتلقى الضوء على معناها، وتكشف عن حكمة التشريع .

ثامنا : يسلك فيما يقصد إيضاحه طريق السؤال والجواب فيكثر من عبارة « إن قلتَ » ليجيب عما أثاره بقوله « قلتُ» .

فإذا أضفنا إلى هذا أن الزمخشرى فى تفسيره أديب ذواقة، يحيا بحسه وروحه فى النص القرآنى، ويجىء بالشعر المضمن معنى بعض الآيات، ويستطرد استطرادات تخدم تفسير الآية، وأنه وقف من القصص والإسرائيليات موقفا عقليا حازما، فسلم كشافه منها أو كاد كما سلم من الحشو والتطويل تبين لنا أن هذا التفسير قد جمع بين النقل والعقل والقراءات والنحو والبلاغة، وأنه يمتاز بالفكرة العميقة، والأسلوب الأدبى المشرق. وأنه لهذا يعدّ من خير الكتب التى يرجع إليها فى التفسير، وهو بعد ذلك يمثل وجهة نظر المعتزلة فى تفسير القرآن، ويدافع عن مبادئهم فى حرارة وإخلاص .

ولمكانة هذا الكتاب اعتمدت عليه التفاسير التى جاءت بعده رغم نزعته الاعتزالية. ووُضِعت له حواش كثيرة منها حاشية ابن كمال باشا زاده. وحاشية علاء الدين المعروف بالبهلوان، وحاشية الزهاوى. كما وضعت للرد على ما فيه من مبادئ المعتزلة كتب، من بينها « كتاب الانتصاف » لناصر الدين أحمد أبى محمد بن المنير الإسكندرى(المتوفى سنة 683 هـ)وقد طبع على هامش الطبعة الأميرية التى ذكرنا تاريخها سابقا .

* * *

السبكى، تاج الدين عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى. « جمع الجوامع فى علم أصول الفقه ». القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 440 ص .

ولد تاج الدين السبكى فى قرية (سبك) من أعمال المنوفية بمصر، وانتقل مع والده إلى دمشق، فسكنها (وتوفى بها سنة 771 هـ / 1370 م).وكان طلق اللسان قوى الحجة، انتهى إليه قضاء القضاة فى الشام، ثم تعصب عليه شيوخ عصره، فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، وأتوا به مقيدا من الشام إلى مصر، ثم أفرج عنه وعاد إلى دمشق حيث توفى بالطاعون .

ومن أثاره الأخرى « طبقات الشافعية الكبرى »، و **«معيد النعم ومبيد النقم »، و«منع الموانع» تعليق عـلى « جمع الجـوامع » و « توشـيح التـصـحيـح فى أصـول الفـقـه»، و«الأشباه والنظائر »** فى فقه الشافعية .

قد يسـبق إلى الظن أن موضـوع هذا الكتاب هو أصول الفـقه فـقط، والحقيـقة أنه يشتمل أيضـا على أصول الدين، فإن المؤلف قد أفـرد الصفحات الأخيـرة من كتابه للكلام على أصول العقائد، وقد أشار إلى ذلك في مـقدمته حيث يقول: «. . . ونضرع إليك في منع الموانع، عن إكمال جـمع الجوامع، الآتى من فنى الأصول بالقواعـد والقواطع، البالغ من الإحاطة بالأصلين مبلغ ذوي الجد والتشمير. . » .

وقد اختصر المؤلف هذا الكتاب من زهاء مـائة كتاب فى علم الأصول، ويميل فيه - كمـعظم المؤلفين فى الأصول مـن الشافعـية - إلى المنهج العـقلى النظرى المعروف بـطريقة المتكلمين، ورتبه على مقدمة وسبعة أبواب .

تناول فى المقدمـة بعض التعريفات عـن علم الأصول، والفقه، وناقش المعـتزلة فى الحسن والقبح وفى غيرهما، ثم عقب بذكر بعض المسائل .

أما الباب الأول فخصـصه للقرآن والكلام عن مباحثه، كالمنطوق والمفهـوم، والحقيقة والمجاز، والخاص والعام، ، والمطلق والمقـيد، مع إتباعه بعض المباحث بذكر مسـائل فرعية يعنون لها بقوله (مسألة) .

وتكلم فى البـاب الثانى عـن السنة والمباحث المتـعلقـة بها كـالمتواتر وخـبر الآحـاد والمرسل، ونقل الحديث بالمعنى إلى غير ذلك .

وفى الباب الثالث تناول الإجماع، وناقش إمكانه، وحكم ما يفيده من حيث القطعية أو الظنية، وحكم جاحد الإجماع .

والباب الرابع فى القياس، عرفه وبين أركانـه، وذكر مسالك العلة، وقوادح القياس، وهو من أكبر مباحث الكتاب .

* * *

السرخسى، محـمد بن سهل. « المبسوط ». القاهرة، مطبـعة السعادة 1324 هـ 30 مج .

يعتبر من المجـتهدين فى المسائل. وسرخس التى ينسب إليهـا من مدن خراسان. وله من المؤلفـات «المبسوط» فـى الفقه، وهو الـذى نحن بصدد التـعريف به، وقـد أملاه وهو سـجين فى جب من ذاكـرته دون الرجـوع إلى مـراجـع. وكان هـذا السـجن فى أوزجند بفرغانة، وكان سبب سجنه أنه نصح الخاقان بنصيـحة غضب عليه بسببها. وكان يملى وهو فى الجب وتلاميـذه فوق الجب يكتبـون. وكذلك له **شرح الجامع الـكبير** للإمام محمد بن الحسن الشيبانى، وكتاب **شرح مختصر الطحاوى**، وكتاب **شرح السير الكبير** للإمام محمد ابن الحسن الشيبانى. وكتاب **الأصول**، وقد طبع فى مصـر على نفقة جمعيـة علمية بالهند منذ عدة سنوات، وهو فى أصول الفقه. وقد(توفى سنة 483 هـ وقيل سنة 473 هـ).

والمبسوط كتاب ألفه شمس الأئمة الـسرخسى شرحا لكتاب « **الكافى** » الذى كان قد ألفه الحاكم الشهيد أبو الفضل محمد بن محمد بن أحمد المروزى. وقد كان الحاكم هذا إمام الحنفية فى عصره (توفى سنة 334 هـ) وقد دعاه إلى تأليـف « الكافى » أنه رأى إعراضا من بعض المتعلمين عن قراءة كتـاب المبسوط الذى كان قد جمع فيه الإمام محـمد ما فرعه أستاذه الإمام أبو حنيـفة من الفروع الفقهيـة، وكان سبب إعراضهم عن مبسـوط محمد أنه يكرر المسائل، ويبسـط القول بسطا واسـعا، فرأى الحـاكم أن الصواب فى أن يختـصر هذا المؤلف (مبـسوط محـمد) بذكر مـعانى كتب مـحمد المبـسوطة فيـه، وحذف المكرر من مسـائله. وكتب محـمد التى قد جـمعهـا الكافى هى التى تعرف عند العلـماء بكتب ظاهر الرواية، وهى التي جمـعها الإمام محـمد عن شيخه أبـي حنيفة، وهى: **الجامع الصغير، والجامع الكبير، والسير الكبيـر، والسير الصغير، والزيادات، والمبسوط**. وإنما سميت هذه الكتب بكتب ظاهر الرواية لأنها رويت عن الإمام محمد من طرق موثوق بها، فهى ظاهرة على غيرها: أى غالبة عليها وأقوى منهـا. من الظهور وهو الغلبة والقوة. والمبسوط لمحمد هو غير مبسوط السرخسى هذا .

ولكن كتاب الكافى نظرا إلى أنه كان مـختصرا - كما عرفنا - جاء زمـن احتاج فيه إلى بيان، وكان هذا من دواعى تأليف السـرخسى لمبسوطه شرحا لكتـاب الكافى، وقد نبه نفسه إلى هذا، فقد قال: « ثـم إنى رأيت فى زمانى بعض الأعراض عن الفقه من الطالبين لأسباب، فمنهـا قصور الهمم لبعضـهم حتى اكتفوا بالخلافيـات من المسائل الطوال، ومنها ترك النصيحة من بعض المدرسين بالتطويل عليهم بالنكات الطردية التى لا فقه تحتها، ومنها تطويل بعض المتكلمين بذكر ألفاظ الفـلاسفة فى شرح معانى الفقـه، وخلط حدود كلامهم بها، فرأيت الصواب فى تأليف شرح المختصر، لا أزيد على المعنى المؤثر فى بيان كل مسألة اكتفاء بما هو المعتمد فى كل باب » .

ومن هنا تعلم أنه سـار فى كتابه علـى تقسيم كـتاب الكافى أبوابا وفـصولا، وهى شاملة لأبواب الفقه المألوفة وأقسامه المعروفة من عبادات ومعاملات .

منهجه فـيه: أما من حيث تقسيـمه فقد عرفنا أنه كـان يسير على نهج الأصل الذى يشرحه، وهو كتاب « الكافى » فقدم الصلاة وما هو ضرورى لها كالوضوء وغيره من أنواع الطهارة، ولذا نجـده يقول فى أول كتـابه: ثم إنه بدأ بكتابه الصلاة، لأن الصـلاة من أقوى الأركان بعد الإيمان بالله تعالى، ثم بين الصلاة لغة وشـرعا، ولم يذكر تفاصيلها إلا بعد أن ذكر تفاصيل ما هو ضرورى لها من وضوء وغيره من أنواع الطهارة .

وأما من حيث منهـجه الموضوعى فإنه كـان يذكر المسألة ويبدأ بالاسـتدلال لها على مذهب الحنفيـة، ثم يذكر آراء بعض المذاهب الأخرى، ويستـدل لهم بأدلتهم. ثم يكر على نقضها بما يظهـر له من ضروب النقض، وأكثر ما كان من ذكـره للمذاهب الأخرى مذهب الشافعى ومالك، وقد يذكر مـذهب أهل الظاهر، والإمام أحمد، ولكنه قد يؤيد فى المسألة مذهبا آخر غير مذهب أبى حنيفة ويستـدل لذلك، لأنه كما عرفنا قد كان من المجتهدين فى المسائل. ومن أمثلة ذلك أنه قـد روى عن أبى حنيفة أنه يحتاج عند نية الصـلاة نية الكعبة أيضا، ولكنه قد رد هذا، وقـال: والصحيح أن استقبـاله إلى جهة الكعبة يغنيه عن نـيتها. وكذلك كان يحاول الجمع بين الآراء المختلفة بضرب من النظر، ومثال ذلك أنه لما تكلم عن النية للصلاة ذكر عن علمـاء الحنفية أن الأفضل أن تكون النية مقارنـة للتكبير، ولكن يجوز

أن تسبقه بشرط أن لايوجد عمل يقطع النية عن التكبير، كما لو نوى قبله حين توضأ ولم يشتغل بعمل بعده يقطع نيته إلى أن كبر للصلاة. ثم ذكر عن الشافعي أنه لا يجوز مبينا دليله بأن الحاجة إلى النية ليكون عمله عن عزيمة وإخلاص، وذلك إنما يكون عند الشروع في الصلاة. وحينئذ يبين أنه لا خلاف بين الحنفية والشافعية في التمسك بالدليل، فيقول: « ونحن هكذا نقول، ولكن يجوز تقديم النية، ويجعل ما قدم من النية إذا لم يقطعه بعمل كالقائم عند الشروع حكما، كما في الصوم » .

وكان يتأول الأحاديث التي يرويها مخالفو الحنفية في مسألة تأويلا حسنا يجعلها لا تتعارض مع ما يرويه الحنفية دليلا على رأيهم. وكثيرا ما نجد هذا في مسائل الكتاب التي اختلفت فيها آراء الفقهاء .

أما مادة الكتاب فهي ما روى عن أئمة الحنفية الذين سبقوه، ولا سيما ما رواه محمد في كتب ظاهر الرواية الستة التي ذكرناها قريبا. وإذا رويت رواية ورأى الصواب في غيرها عمد إلى الترجيح مستدلا على ذلك كالرواية التي رواها الحسن عن أبي حنيفة أنه يلزم نية الكعبة عند نية الصلاة، وهي التي ذكرناها قريبا، وقد صحح خلاف ذلك مستدلا على تصحيحه بأن استقباله إلى جهة الكعبة يغنيه عن نيتها. فضلا عن أنه كان يرد الآراء إلى أصول كلية .

وأما قيمته العلمية في محيطه فهو أكبر كتاب لمؤلف واحد في فقه الحنفية، أو بالأحرى في الفقه المقارن، ولو اطلعت على ما ألف بعده من كتب في هذا المذهب لوجدته يرجع في مأخذه إلى المبسوط، وربما تكون عبارته مأخوذة من عبارة المبسوط، مع زيادة المبسوط في بسط العبارة وتبيين الأصل الذي يعتبر مأخذا للرأي في المسألة، فإذا قلنا إنه أهم مرجع لمن كتبوا في فقه الحنفية بعده لا نكون قد جاوزنا الصواب .

* * *

الشافعي، محمد بن إدريس. « الرسالة ». بتحقيق وشرح المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر. القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، 1357 هـ / 1938 م 700 ص .

اشتهر هذا الإمام باسم الشافعي. أما اسمه كاملا فهو أبو عبد الله محمد بن إدريس

ابن العباس بن عثـمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عـبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب ابن عبد مناف المطلبى، ابن عم رسول الله ﷺ، (ولد سنة 150هـ) بغزة فى فلسطين، وحمل منها إلى مكة، وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقـصد مصر سنة 199 هـ فتوفى بها، وقبره مـعروف فى القاهرة. أقبل على الفـقه والحديث وتتلمذ على الإمـام مالك بن أنس. وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان ذكيا مفرطـا، له تصانيف كثيرة من أشهرها كتاب الأم، في سـبع مجلدات، والمسند فى الحـديث، وأحكام القرآن، والسـنن، واختلاف الحـديث، وكتب أخرى. وكـان من بلغاء القرشيين وأدبائهم وعلمائهم بالقـراءات والفقه. ومن الذين تتلمذوا عليه الإمام أحـمد بن حنبل صاحب المذهب الفقهى المعروف، وقد قـال فيه: « ما أحد ممن بيـده محبرة أو ورق إلا ولـلشافعى فى رقبـته منة ». وقد ألفت فى تاريخـه عدة كتب. (وتوفى سنة 204هـ) عن أربع وخمسين عاما .

يعتبـر هذا الكتاب أول كتاب ألف فى أصـول الفقه، وقد رواه عن الإمـام الشافعى تلميـذه الربيع بن سليمان المرادى، ولذلـك نجد فى أوله (الربيع بن سليمـان قال: بسم الله الرحمن الرحيم أخبرنا أبو عبد الله محـمد بن إدريس. . .) وبعد أن يورد نسبه تبدأ خطبة الكتاب (أو مقدمته)، وهى تستغرق 52 فقرة وتشتمل على كثير من آيات القرآن الكريم، وأحاديث رسوله ﷺ، وفيـها علم غزير، وبيان بليغ، وأشعار بمكانة الشـافعى وجلال علمه وبلاغة لسانه .

وبعد المقدمة تبـدأ الأبواب التى رتب عليها الشافعى هذا الكتاب الـفريد فى منهجه، وهى تبدأ ببيان كـيف البيان، وأنواعه، وفروعه المختلفـة، ثم باب ابتداء الناسخ والمنسوخ، وبيان أنواعه، وأمثلته، ثم باب الفرائض التى أنزل الله نصا، والفرائض التى سن رسول الله معـها، ثم الفرض المنصـوص الذى دلت السنة على أنه إنما أراد به الخاص، ثم بيـان جمل الفرائض فى الزكـاة، وفى الحج، وفى العدد، ثم بيان محـرمات النساء، ومحـرمات الطعام، ومـا تمسك عنه المعتـدة من الوفـاة، ثم دراسات فى السنة، ثـم باب العلم، ثم باب خبـر الواحد، وباب الإجماع، وباب القياس، وباب الاجتهاد، والاستحسان، والاختلاف. . .

وإذا كانت هذه هى جملة أبواب الـكتاب، فإن تحتها مـسائل وأحكاما كثيـرة، وفيه حشد من الدراسات الدقيقة العميـقة فى الفقه وأصوله، وفى الحديث وعلومه، وفى القرآن

وتفسيره وعلومه أيضا .

وعبارة الشافعى فى هذا الكتاب هى عبارة العربى القرشى البليغ، تعتبر حجة بكلماتها وتركيبها، كما تعتبر نموذجا رائعا للأسلوب العربى الأصيل. إنه يقول تحت عنوان (باب كيف البيان ؟) - والجملة الأولى من كلام الربيع بن سليمان راوى الكتاب- (قال الشافعى: والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع، فأقل ما فى تلك المعانى المجتمعة المتشعبة أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه، متقاربة الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشد تأكيد بيان من بعض، ومختلفة عند من يجهل بيان العرب .

(قال الشافعى: فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه، مما تعبدهم به، لما مضى من حكمه جل ثناؤه: من وجوه :

(فمنها ما أبان الله لخلقه نصًا، مثل جمل فرائضه، فى أن عليهم صلاة وزكاة وحجا وصوما. وأنه حرم عليهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونص الزنا والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وبين لهم كيف الوضوء، مع غير ذلك مما بيِّن نصا .

(ومنه ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه، مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التى أنزل من كتابه .

(ومنه ما سن رسول الله ﷺ مما ليس لله فيه نص حكم. وقد فرض الله فى كتابه طاعة رسوله ﷺ، والانتهاء إلى حكمه. فمن قبل ذلك فى فرض الله قبل .

(ومنه ما فرض الله فى خلقه الاجتهاد فى طلبه، وابتلى طاعتهم فى الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم).

ثم يذكر آيات من كتاب الله، ويعقب عليها بالاستنتاج منها. وبعد ذلك يورد أبواب البيان الأول، والثانى، والثالث، والرابع، والخامس، وبعدها يذكر أنواعا أخرى من البيان. وهو فى كل ما يذكر يبدأ بالدليل من كتاب الله، ثم من سنة رسوله .

فإن عرض لمسألة فيها خلاف، أورد الاعتـراض بصيغة (فإن قال قائل) ثم أجاب، وعاد فسـأل ثم أجاب. وهو فى كل ما يجيب به سليم الفـهم دقيقه لكل مـا يستدل به من كتاب الله، قوى الحجة ساطع البـرهان على ما يذهب إليه، حتى لا يملك من يناقشه إلا أن يسلم له، أو يغالط بغير الحق .

على أن فى منهج الرسالة مـوضوعية مـصدرها أن يعترض، ثم يجـيب ويورد أمثلة متنوعة تشرح الموضوع وتعززه، ويذكر ما فى الموضوع من فروع. فإن هو عاد إلى الموضوع بعد هذا - أشار إلى ما قال فيه من قبل، وزاد فيه شيئا إن كان ثمة ما ينبغى أن يضاف إلى ما سبق .

وفى إيجاز نختتم به هذا التعريف بالرسالة أنها أصل لكل كتاب فى أصول الفقه ألف بعدها، وأنها نموذج فـريد فى منهجيتـه وفى أسلوبه وفى أدلته الدامغة وفى الاجـتهاد المبنى على أسس سليمة قوية .

وقد طبع مـرات كثيـرة فى مطابع مختـلفة منها، المطبـعة المشرفـية (1315 هـ)، والمطبعة العلمية (1312 هـ)، والمطبعة الأميرية مع كتاب الأم (1321 هـ) .

* * *

الشافعى، محمد بن إدريس. « كتاب الأم ». القاهرة، المطبعة الأميرية، 1321 هـ 7 مج .

بهامشه مختصر إسماعيل بن يحيى المزنى وكتاب اختلاف الحديث للشافعى .

المؤلف هو أبو عـبد الله مـحمـد بن إدريس الشافـعى القرشى، انظر ترجـمتـه فى الرسالة.

وكتـاب الأم يعتبر بحق أمـا للمذهب الشافـعى فى الفقه، رواه عن الإمام الشـافعى نفسه تلميذه الربيع بن سليمان المرادى، ولهـذا نجده يبدأ بهذه العبارة: (والمتكلم البويطى، الراوى عن الربيع) :

« أخبرنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا محمد بن إدريس المطلبى الشافعى رحمه الله، قال. . . » .

وهو مرتب على كتب تندرج تحت كل منها أبواب. وعادة يبدأ كل كتاب، وكل باب غالبا، بآية تعتبر أصلا لما سيذكره فيه من أحكام، أو بحديث يعتبر أصلا كذلك. ثم يتبع ذلك بتقرير الأحكام المستنبطة من النص، فى عبارات وأسلوب هى عبارات الشافعى وأسلوبه: رصانة، وعربية أصيلة، وبلاغة فى الدرجة العليا، مع بساطة ووضوح فلا غموض ولا تعقيد، ولا حاجة إلى البيان والشرح .

إنه يقول فى باب العدد الذى إذا بلغته الإبل كان فيها صدقة :

(أخبرنا الربيع قال، أخبرنا الشافعى قال، أخبرنا مالك بن أنس، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى، عن أبيه، عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: « ليس فيما دون خمس ذو صدقة ») ويورد الحديث نفسه بإسناد آخر، ثم يقول: (قال الشافعى: وبهذا نأخذ، ولا أعلم فيه مخالفا لقيته، ولا أعلم ثقة يرويه إلا عن أبى سعيد الخدرى، فإذا أثبتوا حديثا واحدا مرة - وجب عليهم أن يثبتوه أخرى. قال الشافعى: وبين فى السنة أنه ليس فيما دون خمس من الإبل صدقة، وإن في الخمس صدقة) .

وكتاب الأم يعد كتابا فى الحديث الصحيح، إلى جانب كونه كتابا جمع فقه الشافعى كله، فإنه يذكر مع حكم كل مسألة دليله من السنة إن وجد، وهو محدث حافظ له مسند معروف، ومثله قلما يخطئ بإيراد حديث غير صحيح .

كذلك يعتبر كتاب الأم أصلا للمذهب الشافعى، ولكثير من أصوله التى تحدث عنها وبينها الشافعى وهو يستدل للأحكام، فقد تناول فيه الإمام كل أصول المذهب وأحكام الفروع فيه، على نحو سلكه بعده جميع فقهاء المذهب، فلم يحيدوا عنه، إذ بدأه بكتاب الطهارة، بأنواعها المختلفة، وأوصاف الماء الطهور، ثم الصلاة وما يسبقها من أذان وإقامة، وما يلحقها من أحكام وأحوال ثم سائر العبادات، ثم الصيد، والذبائح، ثم البيوع، ثم

الرهن الكبير، ثم الشفعة، فالهبة، فـاللقطة الصغيرة، فاللقيط. . . وهكذا إلى آخر مباحث الفقـه وأبوابه، في سبـعة مجلدات كـبار. فهـو المرجع الأول لمذهب الشافـعى بما ذكر من أحكام الفروع وأدلتها .

* * *

الشيبانى، محمد بن الحسن. « السير الكبير ». للإمام محمد بن الحسن الشيبانى .

ولد فى أوسـط (سنة 132 هـ)، وانتقل إلى الكـوفة فنشأ بهـا، وكانت ملتقى كـبار الفقهاء واللغويين والنحاة، فاتصل بهم وأخذ عنهم، ولازم الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان حتى (توفى سنة 150 هـ)، فاتصل بتلميذه الإمام أبى يوسف، فـأتم عليه دراسة الفقه، ثم رحل لتلقى العلم على كـبار علماء عـصره، فأخذ عن الأوزاعى عـالم الشام، وسفـيان بن عيـينة عالم مكة، وعـبد الله بن المبارك عـالم خراسان. هـذا إلى كثيـرين أخذ عنهم في البصـرة، ثم رحل إلى الإمام مـالك بن أنس فى المدينة ولازمه ثلاث سنوات، وسـمع منه «**الموطأ**» مرات. فـجمع بذلك طريقـة أهل الاستنباط فى الكـوفة - وهم أهل الرأى - إلى طريقة مـالك وطريقة الأوزاعى. ثم عاد بعـد أن اشتهر علمـه، فأقبل عليـه الطلبة من كل مكان، وقصده كثيرون من بلدان بعيدة وكان من بينهم الإمام الشافعى صاحب المذهب .

ويعتبر الشيبانى بما صنفه من المؤلفـات فى الفقه، أهم شخصية أثرت في نشر مذهب أستاذه الإمام أبى حنيفـة. فضلا عما كان لآرائه واجتهاده الشـخصى من أصالة قد تجعله ذا مذهب خاص. وظلت كتـبه معتمدة متـداولة بين الناس، وعلى هديها ألفت بعض الكتب الأمهات فى الفقة كالمدونة والأسدية والأم والحجة .

أما كتابه « السير الكبير» فهو آخر الكتب التى ألفهـا. والمقصود بالسير « المغازى ». ويدور موضوعـه حول جميع الأمـور المتعلقة بالحرب وعلاقـتها بالمشركين وأحكامـها، وما يتصل بـذلك من الصلح والتحكيم والغنائم. والأسـارى والرقيق، والفـداء والأراضى التى يستولى عليها أهل الحرب فى الحـرب وأهل الإسلام فى دار الحرب، والمعاهدات ونقضها، وجرائم الحرب، والرسل الذى يفدون إلى دار الإسلام، والحصانات التى يتمتعون بها، وغير ذلك من مئات المسائل التى تتـعلق بأهل الحرب وصلاتهم بالمسلمين فى أيام الحرب والسلم معـا. فهو فى الحقـيقة القانون الدولى للمـسلمين فى أمور الحرب. وقـد تنبه فى السنوات الأخيرة علماء القانون الدولى إلى قيمة الشيبانى وآرائه فى هذا الكتاب فأسسوا فى جوتنجن بألمانيا جمعية الشيبانى للحقوق الدولية لنشر مؤلفاته والتعريف بآرائه .

وقد اهتم كـثير من العلمـاء القدامى بشـرح هذا الكتاب، ويعتـبر شرح السـرخسى (محمد بن أحمد (المتوفى سنة 486 هـ) وهو من كبار فقهاء الحنفية، أهم الشروح وأوفاها. وقد طبع هذا الشـرح قديما فى حيدر آباد بالهند. وطبع أخـيرا طبعة علمـية محققـة ضمن نشريات جامعة الدول العربية بتحقيق الدكتور صلاح المنجد .

* * *

الطبرى، محمد بن جرير. « جامع البيان فى تفسير القرآن » .

المؤلف هو المؤرخ المفسر الكبير محمد بن جرير بن يزيد الطبرى. أبو جعفر، ولد فى آمل طبرسـتان، وعاش فى بغداد، وأخـذ العلم من علمائها. وكان مـيلاده (سنة 224 هـ) ووفاته(سنة 310 هـ) عن سـتة وثمـانين عـاما، أمـضى الشطر الأكـبر منهـا فى الدرس، والحفظ، والتأليف، فكان له كـتب فى التاريخ، وفى التفسير،وفى الفـقه، وفى القراءات. على أنه كان إماما مجتهدا في الديـن،له مذهب، لكنه لم يجد تلاميذ يحملونه وينشرونه، فاندثر. أما التاريخ فهو فيه ثقة يعتمد على كتبه، وخاصة أخبار الرسل والملوك الذى يشتهر باسم تاريخ الطبرى. وله كتاب اختلاف الفقهاء،وكتاب فى القراءات. ومما يشهد له بالحفظ تفسيره الحافل بالآثار. وبوجوه القراءات، واللغـة، وتاريخه الذى استوعب فيه – أو كاد –

تاريخ جميع من يجب تأريخهم ممن سبقوه إلى الحياة حتى عصره .

والتفسير الذى ألفه كتاب ضخم، وموسوعة كبيرة، فى تفسير القرآن الكريم كله. بدأه مؤلفه بمقدمات تحدث فيها عن معانى آى القرآن، وعن فضل القرآن على سائر الكلام، وعن الأحرف التى اتفقت فيها ألفاظ العرب، وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم، وعن اللهجات التى نزل بها القرآن من لغة العرب، وعن مطالب التفسير ووجوهه كما يراها. أما المنهج الذى التزمه فيه فهو كما يلي :

أولا : يفسر اللفظة القرآنية تفسيرا لغويا تعرفه العرب وقت نزول القرآن، ولا يحمل اللفظة معانى جاء بها تطور الزمن ،

ثانيا : التزم التفسير بالآثار التى اجتمعت لديه، بعد أن يصنفها مجموعات كل منها تمثل اتجاها. وهو عادة يختار من بين هذه المجموعات أقربها إلى الحق، ويوجه اختياره بما يفتح الباب للتفسير بالرأى المبنى على الآثار. وقلما يجافيه التوفيق فى الاختيار والتوجيه .

ثالثا : يعتمد على ما روى عن رسول الله ﷺ، ويرى أنه أحق المفسرين بإصابة الحق، وأنه أوضحهم حجة فيما تأول وفسر، فإن بيان القرآن بعض وظيفة الرسول ﷺ، بمقتضى قوله عز وجل: « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

رابعا : لم يتحر الصحة فى جميع الأسانيد التى ذكرها، فجاء بعضها صحيحا قويا، وبعضها الآخر معلولا ضعيفا، لكنه كان أمينا فى إيراد كل حديث أو أثر ومعه السند الذى وصل إلينا به، وعلى من يرجع إليه أن يدرس السند الذى ذكره قبل أن يحكم بالصحة أو الضعف أو الوضع على المرويات من أحاديث وآثار. وبفضل هذه الأمانة فيه أمكن تمييز الصحيح من غير الصحيح فى آثاره .

خامسا : على أنه كان يضيف إلى هذا شيئا آخر فقد كان يحس أن الآثار التى أوردها فى تفسير آية لم يصح شيء منها، فكان حينئذ يلجأ إلى ظاهر الآية، ليبنى عليه تفسيره لها تفسيرا ظاهرا قريبا من الفهم. وهو يفضل هذا التفسير الظاهر للآية وإن احتملت الآية

تفسيرا باطنيا .

سادسا : كان يقف من التفسير القصصى موقـفًا عقليًا ناقدا، فى بعض الأحيان. فيلتزم فى قبول بعض الآثار أن يشهد لها دليل من خبر، أو لغة، أو استنباط. لكنه كان برغم هذا الدليل يخطئ أحيانا فى قبوله لبعض الآثار، وفى تفسيره من هذا وذاك .

سابعا : كان يستعين بالنصوص الشعرية أحيانا فى التفسيرات اللغوية، توثيقا لما يذكره لها من معان .

ويبدو من هذا المـنهج أن الطبرى كان مـفسـرا يلتزم الأثر، وفى سبـيل ذلك لم يكن يخرج بالتفسير اللغوى عن الأثر المروى، وبهذا الموقف حارب المنزع القصصى الخيالى الذى استفاض فى عصره، كما حارب التـأويلات الباطنية وغيرها مما لا يتفق والمعنى الذى تقرره الآية بعبارتها الظاهرة، وإن احتـملت الآية مثل هذه التأويلات. وبسبب كل ذلك يطلق على هذا التفسير اسم (**التفسير بالمأثور**)، ويعد من الكتب الـتى جمعت بين الحـديث واللغة، والتفسير والفقـه، والآثار. وهو فى أسلوبه بعيد عن التكلف والغموض، وإن تكن له لوازم خاصة فى أسلوبه، قد تجعل عبارته غريبة أحيانا .

وهذا الكتاب - بعـد هذا - له قيمتـه العلمية الهـامة، فهو من أقـدم كتب التفسـير المطبوعة. وقد تعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض. وقال عنه الإمام النووى: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مـثله، ولذلك اعتمد عليه أئمة المفسـرين، واغترفوا منه، واعترفوا بفضله .

وقد طبع الكتاب عدة طبعات فى المطبعة الأمـيرية ببولاق وفى المطبعة الميمنية فى 30 جزءا، يبلغ مجـموع عدد صفحـاتها نحو 5160 صفحة من القطع الكبـير، وعلى هامشه تفسير النيسابورى. وآخـر طبعة منه هى طبعة دار المعارف، بتحقيق الأستاذ مـحمود محمد شاكـر، وقد خرّج آثاره، وعرّف برجـاله، وبيّن ما فى أسانيـده من صحة أو غيـرها أخوه المرحوم الشـيخ أحمد شـاكر، ولكنه رحمـه الله قد توفى فى أثناء طبعـه، فاحتـمل أخوه محمود - رحمه الله - ما كان يحتـمله. وقد صدر منه حتى الآن ستة عشر جزءا لم تصل

إلى نصف القرآن. وما زال العمل جاريا فى تحقيقه وطبعه .

* * *

الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد. « المستصفى من علم الأصول ». القاهرة، المكتبة الملوكية، 1322 هـ 743 ص .

ألحق به « فواتح الرحموت فى أصول الحنفية » .

المؤلف هو الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى، فقد ولد(سنة 450 هـ / 1058 م) وتوفى (سنة 505 هـ / 1111م) وقد كان من طوس بخراسان. ونسبته إلى غزالة، وهى بلدة من قرى طوس، فتكون بالتخفيف كما هو المشهور على ألسنة الناس، أو إلى صناعة الغزل فتكون بتشديد الزاى. وكان أبوه رجلا صالحا يأكل من عمله وهو غزل الصوف، فتكون نسبة التشديد فى الزاى راجعة إلى هذا. وقد نبغ الغزالى فى كثير من العلوم، كما تفوق على كثير من إخوانه الذين رافقوه فى الأخذ عن شيوخهم، وقد قال فيه معلمة إمام الحرمين: إن الغزالى بحر مغرق. ولما مات أبو المعالى إمام الحرمين قربه الوزير نظام الملك وولاه التدريس بمدرسته النظامية ببغداد سنة 484 هـ واتسعت حلقات درسه لكثرة ما أقبل عليه من طلاب العلم، وقد آثر العزلة عن الناس فى فترة من فترات حياته الأخيرة، وقد ضرب الناس فى هذا بكل ظن، ولكنه قد أزاح الستار عن هذا فى كتابه « المنقذ من الضلال » فإنه عزا ذلك إلى تطور نفسى له عليه سلطان شديد حتى حمله هذا على اعتقاد ألا طمع له فى السعادة الأخروية إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن ذلك لا يتم إلا بالهرب من الشواغل، ولا سبيل لذلك إلا بالعزلة. وكان كثيرا ما يجادل خصوم السنة ويفحمهم. كما تعرض لنقد المذاهب الفلسفية وأبان عما فيها. ولقد ترك محصولا كبيرا من العلم فى كثير من الفنون، منها **المستصفى من علم الأصول، وإحياء علوم الدين، وجواهر القرآن** وموضوعاته قريبة من موضوعات إحياء علوم الدين وكلاهما مطبوع، **وتهافت الفلاسفة، ومقاصد الفلاسفة، وعقيدة أهل السنة، وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، والوجيز فى فقه الشافعية،**

ومنهاج العابدين. وقد قيل إنه آخر تأليفه. وإلجام العوام عن علم الكلام، وكل هذه الكتب مطبوعة. وله المنخول من علم الأصول، وهو مخطوط، وياقوت التأويل فى تفسير الـ ـر وهو كبير يقال إنه فى نحو أربعين مجلدا، إلي غير ذلك مما له من كتب :منطق والعقليات وغيرها. وقد كانت منزلته منزلة الإمامة فى زمانه، والقيادة بين أقرانه كما يظهر ذلك مما ذكرناه سابقا .

ألف الغزالى هذا الكتاب فى أصول الفقه بعد أن ألف فيه كتاب المنخول، والذى دعاه إلى هذا هو ما طلب إليه تلاميذه من تأليف كتاب يجمع بين الترتيب والتحقيق، وأن يكون متوسطا بين الإخلال والإملال كما بين ذلك فى خطبة هذا الكتاب. وقد بناه على مقدمة وأربعة أقطاب، وجعل المقدمة مبادئ منطقية تبين مدارك العقول التى تنحصر فى الحد والبرهان، وما يتصل بذلك من شروط للحد والبرهان. ثم بين الأقطاب الأربعة بعد ذلك، وهى الحكم، والمثمر، وهو الكتاب والسنة والإجماع التى هى أدلة الحكم، وطريق الاستثمار، وهو وجوه دلالة الأدلة، وهى دلالة المنظوم، ودلالة المفهوم، ودلالة الضرورة والاقتضاء، ودلالة المعقول، والمستثمر وهو المجتهد. وقد كان منهجه فى مؤلفه هذا يعتمد على أمور :

(أ) أن يذكر آراء العلماء فى المسألة، ثم يقفى على ذلك برأيه مستدلا عليه، ويمثل لك هذا ما ذكره فى سبب الجرح والتعديل. فقد ذكر رأى الشافعى فى أنه إذا جرح راو لأثر يجب ذكر سبب الجرح دون التعديل، لأنه قد يجرح بما لا يراه جارحا لاختلاف المذاهب فيه، خلاف العدالة، لأنها ليس لها إلا سبب واحد. ثم ذكر أن قوما قالو· مطلق الجرح يبطل الثقة بالراوى، ومطلق التعديل لا يحصل الثقة لتسارع الناس إلى بناء رأيهم على الظاهر فلابد من ذكر سبب العدالة. وذكر أن قوما آخرين يرون أنه لا بد من ذكر السبب فى كل منهما. وأن البيضاوى يرى عدم ذكر السبب فى كل منهما. ثم أخذ يبين رأيه. وهو أن هذا يختلف باختلاف حال المزكى لهذا الراوى.. إلخ ما ذكر فى ص 163 من الجزء الأول .

(ب) إذا بدأ الكلام عن موضوع حصر عناصره وبينّها ثم أخذ فى شرحها وما قد

يكون فى كل منهـا من أقـوال للعلمـاء، ويمثل لك هذا أنه لما أراد أن يـتكلم عن حـجيـة الإجماع قال: « ومن حاول إثبات كون الإجماع حـجة افتقر إلى تفهيم لفظ الإجماع أولا. وبيان تصوره ثانيا. وبيان إمكان الاطلاع عليه ثالثـا. وبيان الدليل على كونه حجة رابعا ». ثم أخذ يبين المراد بالإجـماع فى الاصطلاح الأصولى، ويبين تـصور حصول الإجـماع من الأمة المحمدية، ثم بين أقوال العلماء فى إمكان الاطلاع على هذا الإجماع. وبعد ذلك أخذ يبين المقصـود وهو كون الإجماع حـجة. ومثل هذا الصنيع يـعطى القارئ صورة إجمـالية للموضوع تساعد على فهم التفصيلات فيه، وهو ما يقصده من هذا الصنيع .

(جـ) كان يكثـر من الأدلة على ما يريد الاستـدلال عليه، كما يكثـر من الأمثلة. حتى يصل بالقـارئ إلى الاطمئنان إلى ما يريد تـقريره. وإنك لتجد هذا مـبثوثا فى كـتابه هذا، بل فى كتبه الأخرى .

(د) إذا رأى أن دليلا لاحجـية فيه لا يقتـصر على ذكر وجه من أوجـه نقضه. بل يذكر كثيرا من الأوجه التى تنقضه كمـا ذكر فى الاستدلال بحديث « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » على حجية الإجماع، فـقال: ولا حجة فيه من أوجه: الأول - أنه خبر واحد لا تـثبت به الأصـول. الثانى - أن المراد به مـا رآه جمـيع، لأنه لا يخلو أن يريد به جميع المسلمين أو آحادهم، فإن أراد الجميع فهو صحيح، إذ الأمة لا تجتمع على حسن شىء إلا عن دليل، والإجماع حجة، وهو مراد الخبر. وإن أراد الآحاد لزم استحسان العوام، فإن فرق بأنهم ليسوا أهلا للنظر قلنا إذا كان لا ينظر فى الأدلة فأى فائدة لأهلية النظر. الثالث- أن الصحابة أجمعوا على استحسان منع الحكم بغير دليل ولا حجة، لأنهم مع كثرة وقائعهم تمسكوا بالظواهر والأشبـاه، وما قال واحد: حكـمت بكذا وكذا لأنى استحـسنه، ولو قال ذلك لشددوا النكير عليه، وقالوا: من أنت حتى يكون استحسانك شرعا وتكون شارعا لنا. وما قـال معاذ - حيث بعـثه الرسول إلى اليمن -: إنـى أستحسن، بل ذكـر الكتاب والسنة والاجتهاد فقط .

ومما تقدم يتـبين أن مادة الكتاب أقوال الأصـوليين وأدلتهم على قواعدهـم، وأعمال الصـحابة فى الاسـتنباط، والكتـاب والسنة من حيث مـا يؤخذ منهـما دليل على المسـائل

الأصولية. فهو غزير المادة بما جمع من مسائل علم الأصول وأدلتها .

أما منزلة الكتاب العلمية فى محيطه فهى تفوقه من حيث منهجه، ويسر عبارته، وإدراك مراميه دون عناء. ومن هنا كان مرجعا هاما لمن جاء بعد الغزالى من المؤلفين، فهو بلا شك عمدة فى أصول الشافعية، كما أنه معتمد لمن يريدون التحرر من التعصب لمذهب معين، فقد يخالف الغزالى الشافعى فى بعض أصوله .

* * *

القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى. «الجامع لأحكام القرآن». القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1933 م 20 مج .

المؤلف هو محمد بن أحمد بن أبى بكر أبو عبد الله، من كبار المفسرين،نشأ في قرطبة بالأندلس، ثم رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (المنيا الآن) شمال أسيوط بصعيد مصر، وكان ورعا زاهدا، يشغل أوقاته بالعبادة والتأليف،سمع من شيوخ كثيرين، وحدث عن الحافظ البكرى، وأبى الحسن اليحصبى وغيرهما .

له مؤلفات كثيرة غير تفسيره، منها « **الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى** »، «**التذكار فى أفضل الأذكار**»، « **التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة**».

توفى بمنية ابن خصيب ودفن بها فى (شوال سنة 671 هـ / 1273 م) .

والجامع لأحكام القرآن كتاب ضخم فى تفسير القرآن الكريم،وضع له مؤلفه مقدمة نفيسة تحدث فيها عن بعض المسائل التى تتعلق بالقرآن الكريم، مثل فضل التفسير، ومراتب المفسرين والتفسير بالرأى، وجمع القرآن، ومعنى السورة، والآية، والحرف والاستعاذة، والبسملة، إلى غير ذلك من المسائل التى تعد معرفتها مدخلا لعلم التفسير .

وللمؤلف فى تفسيره منهج يقوم على ما يلى :

أولا : عدم الاهتمام بقصص المفسرين، وأخبار المؤرخين،إلا ما لا بد منه للشرح والتوضيح .

ثانيا : الاهتمام بآى الأحكام وتفصيل ما تشتمل عليه من الأحكام والمعانى مع ذكر آراء الفقهاء، ومناقشتها وبيان صحيحها من ضعيفها دون تعصب لمذهب كلامى، أو فقهى، وإن كان أكثر عناية ببيان مذهب المالكية .

ثالثا : تقسيم كلامه فى تفسير الآية إلى مسائل، وعرض كل منها على حدة، متحدثا أولا عن المسائل اللغوية والنحوية، بناء على آراء علماء اللغة والنحو، ومستشهدا بالنصوص.

رابعا : نسبة كل قول إلى قائله، وتخريج الأحاديث النبوية .

خامسا : بيان الناسخ والمنسوخ على ما كان شائعا حتى عهده، من شمول النسخ لكل تغيير، والقراءات ووجوهها .

سادسا : عدم تداخل المسائل، أو تكرارها .

ويبدو من هذا أن كتاب **الجامع لأحكام القرآن**، قد جمع بين النقل، والعقل والفقه، واللغة، والأدب، وأنه خلا من كثير من الإسرائيليات التى اشتمل عليها عدد كبير من كتب التفسير، كما أنه اهتم بآى الأحكام اهتماما خاصا، فضلا عن دقة عبارته، وجزالة أسلوبه، وتسلسل مسائله ووضوح أفكاره وقضاياه، وذلك كله فى بسط غير مخل ولا ممل .

والكتاب بعد هذا يعد من أمهات كتب التفسير التى يعول عليها فى فهم القرآن وبخاصة فى مجال الأحكام .

* * *

القرافى، أحمد بن إدريس. « الذخيرة » وهو ست مجلدات لم يطبع منه إلا الجزء الأول. ويقع هذا الجزء فى 535 ص. وقد قام بنشره كلية الشريعة إحدى كليات الجامعة الأزهرية .

ينتسب المؤلف إلى صنهاجة إحدى قبائل برابرة المغرب، وإلى القرافة، وهى المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعى بالقاهرة. وهو وإن كان ينسب إلى صنهاجة فهو مصرى

مولدا، ومنشأ ووفاة، فقد ولد ببهنسا. وهى بلدة بصعيد مصر غربى النيل، وأما نسبته إلى صنهاجة فلأن بعض أجداده كان ينسب إليها، وقد ولد(سنة 626 هـ) وتوفى (سنة 684 هـ) وأخذ العلم من علماء عصره فى القرن السابع، وقد تلمذ فيمن تلمذ لهم إلى أبى عمرو بن الحاجب المالكى. والمعز بن عبد السلام الشافعى. وقد اجتهد فى التحصيل حتى انتهت إليه رياسة الفقه فى مذهب الإمام مالك، وصار من الأئمة المجتهدين فى هذا المذهب، وقد شهد له العلماء بالتفوق فى العلوم الشرعية والعقلية، ويدل على صدق هذه الشهادة آثاره التى تركها من مؤلفات قيمة. وقد توفى رحمه الله فى (دير الطين) بالقرب من مصر القديمة، وهى المسماة الآن (دار السلام) (فى شهر جمادى الآخرة من سنة 684هـ) ودفن بالقرافة التى تقرب من قبر الإمام الشافعى. وقد ترك ثروة كبيرة من العلم فى مؤلفاته: منها **الذخيرة** وهو الذى نحن بصدد الكلام عنه. **وأنوار البروق** فى أنواء الفروق، وهو المشهور بين أهل العلم بكتاب (**الفروق**) وهو أربعة مجلدات، وهو مطبوع. **والأحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام وترف القاضى والإمام**،وهو مطبوع، **وشرح تنقيح الفصول فى الأصول** وهو مطبوع. **والأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة** وهو مطبوع. . . إلى غير ذلك من الكتب المفيدة .

يعتبر كتاب «الذخيرة»موسوعة فقهية فى الفقه المقارن، وقد جمعه مؤلفه من أمهات كتب المالكية التى صنفها العلماء من مصريين وعراقيين وأندلسيين وأفريقيين وغيرهم، وجمع فيه بين فقه الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار. لافرق بين أهل رأى وأهل حديث، وإذا ذكر رأيا نسبه إلى صاحبه. وقد ذكر القرافى فى مقدمة كتابه « الذخيرة » أنه جمع فيه بين الكتب الخمسة التى تعتبر مرجعا هاما للمالكيين شرقا وغربا، وهى **المدونة** التى رواها الإمام سحنون التنوخى عن الإمام مالك. **والجواهر الثمينة فى مذهب عالم** المدينة لأبى عبد الله بن نجم بن شاسى. **والتلقين** للقاضى عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى. **والتفريع** لابن الجلاب. **والرسالة** لأبى محمد عبد الله بن أبى زيد عبد الرحمن القيروانى. وقد زاد كثيرا على ما فى هذه الكتب .

* * *

ابن تيمية، تقى الدين أبو القاسم أحمد بن عبد الحليم. « السياسة الشرعية فى

إصلاح الراعى والرعية »، القاهرة دار الكتاب العربى، 1955 م / 1374 هـ، 170 ص .

وهذا كتاب آخر للفـقيه ابن تيمية أراد به أن يضع تحت يد الباحث مـعلومات مركزة ومختـصرة عن واجبات الحكام وحقـوقهم والعلاقة بينهم وبين المحكومين فى ظل العـقيدة الإسلامية .

وينقسم الكتاب إلى قسمين الأول منهما فى أصول الولايات والثانى فى حدود الحكم وحقوقه ويضم القسم الأول بابين الأول منهما من أربعـة فصول فى شروط اختيار الأصلح لتولى الحكم والولاية وطرق اختـيار المرشحين لهذا المنصب. وقد وضع ابن تيـمية فى هذا الباب أسسا محـددة يعتد بها فى عملية اختـيار الأصلح للوظائف العامة وولاية الناس ولم يعالج الموضوع بطريقة لغوية أو فقهية صرفة وإنما زودها بمادة تصلح للبحث .

أما البـاب الثانى من القسم الأول فـهو يتكون من 6 فصول تكلم فـيها المؤلف عن الشئون الماليـة فى المجتمع الإسلامى وساهم بذلك فى تزويـدنا بمعلومات عن هذا الموضوع الذى عالجه بعض الكتـاب فى القرون المتقدمة مثل ابن سـلام وأبو يوسف. وقد حاول ابن تيمـية فى هذا البـاب أن يوضح الأحكام التى يجب أن تسيـر عليها الدولـة فى هذا الميدان وقرن ذلك بالنصوص القرآنية .

وقد تكـلم ابن تيميـة فى هذا الباب عـن موارد دخل الدولة فـذكر الغنيمـة والفىء والصدقات كما تكلم عن حدود تصرفات الحـاكم حيال المحكومين بحيث إذا تخطاها اعتبر ظالما. وتكلم عن نواحى صرف أموال الـدولة حسب الشريعة الإسلاميـة وأشار إلى ضرورة الاهتمام بالإنفاق على مرافق الدولة ووضـعها فى المكان الأول. وقد عدد هذه المرافق وذكر منها القناطر والجسور والقوات والسلاح والكراع وتحصين الثغور .

ويضم القسم الثانى بابين آخـرين. الأول منهما يقع فى ثمانية فصول تحـدث فيها عن الحدود التى وضـعها المجـتمع الإسلامى لرعـاية أفراده وحمـايتهم ضد الجـريمة ومرتكبيـها (السرقة والـزنا، القذف، والمعاصى التى ليس لها حـد مقرر) وقد ضـرب الأمثلة على ذلك ونلمح في معالجته لهذه الأمور جدة وتطورا .

أما الباب الثانى من القسم الثانى فيقع فى ثمانية فصول أيضا عالج فيها ابن تيمية العلاقة بين الأفراد وطرق التصرف فيما ينشأ بينهم من منازعات وخصومات. والكتاب فى مجموعة قيم فى مجال دراسة الإدارة وأحوال المجتمع وإجراء الدراسات المقارنة فى هذه الميادين مع المجتمعات الأخرى .

* * *

ابن جماعة، بدر الدين إبراهيم سعد الله. « تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم »، تصحيح محمد هاشم، حيدر أباد الدكن، جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1934 م، 236 ص .

المؤلف ولد بالشام (سنة 639 هـ) وتعلم به وعمل خطيبا بالقدس وولى قضاء مصر ثم عاد ثانية إلى الشام وتوفى (سنة 733 هـ) وقد ألف فى الحديث والأحكام وله رسالة فى الكلام على الإسطرلاب بالإضافة إلى الرسالة التى بين أيدينا .

والكتاب يبدأ بداية تقليدية بالحديث عن فضل العلم والعلماء، ثم ينقسم إلى قسمين: الأول عن أدب العالم والمعلم، والثانى عن أدب التعلم. وبه ملحق عن آداب سكنى المدارس .

أما عن أدب العالم فإن ابن جماعة يبدأ بالحديث عن أدب العالم فى نفسه فينصحه بمراقبة الله، وصيانة العلم والتخلق بالزهد، وحسن معاملة الناس، وألا يستنكف عن الاستفادة ممن هم دونه. ثم يضع للمعلم الآداب والقواعد التى ينبغى اتباعها فى دراسته من حيث مظهره ومجلسه ومعاملته لتلاميذه كما ينصح بنصائح مفيدة فى التدريس مثل المحافظة على الهدوء والوقار وإتاحة الفرصة للأسئلة .

ويتبع ابن جماعة نفس التقسيم بالنسبة للتلميذ فيتحدث عن أدب المتعلم مع نفسه ومع شيخه وفى دروسه. وينصحه أن يبدأ بطهارة نفسه وأن يستغل فترة شبابه فى الدراسة والتحصيل. وينبغى على المتعلم - كما يرى ابن جماعة - أن يراعى آداب معاملة شيخه لأن طلب العلم على الشيوخ أصلح من دراسة الكتب. ويحدد ابن جماعة حقوق المعلم على

التلميذ في صفحات كثيرة. ويذكر ابن جماعة أنه على المتعلم أن يبدأ بكتاب الله وسائر علومه ويحفظ من كل فن مختصرا ويتجنب فى البدء اختلافات العلماء وينتقل من البسيط إلى المعقد .

ويحتل الكتاب مكانة عظيمة فى التربية الإسلامية، وقد حرص المؤلف على أن يضمنه فصلا عن آداب المتعلم مع الكتب ويختم ابن جماعة كتابه بفصل عن آداب سكنى المدارس وهى المؤسسات التعليمية التي بدأت فى الظهور فى القرن الخامس الهجرى، وكانت قد انتشرت فى زمن المؤلف وربما دفع ابن جماعة إلى كتابة هذا الفصل أن المدارس كانت داخلية فوجب تفصيل آدابها لساكنيها من طلاب وأساتذة .

* * *

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. « المقدمة »، القاهرة، لجنة البيان العربى، 1960 - 3 جـ .

يعتبر ابن خلدون من أشهر علماء الاجتماع والتربية العرب. ولد بتونس(عام 1332هـ) وقد قضى ابن خلدون شبابه بين الفتن التى أدمت شمال أفريقية فى القرن الرابع عشر فشارك فى المعارك التى احتدمت بين الدويلات الإسلامية الصغيرة فى تونس والأندلس وتولى مناصب عدة. وبعد تنقله فى مدن شمال أفريقيا استقر به المقام فى القاهرة حيث قام فيها بوظيفة القاضى الأكبر وتوفى بها (سنة 1406 م) .

والكتاب العظيم لابن خلدون هو كتاب « **العبر وديوان المبتدأ والخبر وتاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** » الذى قسمه إلى ثلاثة أقسام يمكن اعتبارها مستقلة بعضها عن بعض. ويؤلف القسم الأول مقدمته المشهورة التي يعرض فيها الأصول العامة لعلم التاريخ ويضع فيها أسسا فلسفية اجتماعية لدراسة التاريخ الاجتماعى للشعوب الإسلامية. ويتناول القسم الثانى تاريخ الشعوب العربية وما جاورها، أما القسم الثالث فيحتوى على تاريخ البربر والأسر الإسلامية في شمال أفريقيا. أما «**المقدمة الشهيرة**» فقد طبعت مرات عديدة ؛ فقد أخرجها في الغرب المستشرق كاترمير فى ثلاثة أجزاء مع تعليقات

واقتباسات وصدرت في باريس عام (1858). أما فى المشرق العربى فقد ظهرت المقدمة أولا عام (1867) كمقدمة لكتاب العبر الذى صدر عن مطبعة بولاق ثم تعدد نشر المقدمة منفصلة مرات عديدة فى العالم العربى. كما أنها ترجمت إلى معظم لغات الغرب .

وتشتمل مقدمة ابن خلدون على أفكار عامة فى التاريخ ومختلف أشكال العمران الناشئة عن الإقليم أو الحياة البدوية أو الحياة الحضرية وفى طبائع كل واحدة من هذه الحضارات وفى العلوم والفنون التى تنمو فيها. ولابن خلدون فى مقدمته نظرية « العصبية » التى يوضح بها علل ارتقاء الدول وانحطاطها. وقد أثبت وجود شبه تام بين حياة الدولة وحياة الإنسان؛ فالدول تولد وتنمو وتموت كذوات الحياة وهى خاضعة مثلهم لبعض قواعد التطور الطبيعى. وعند ابن خلدون أن العصبية هى العلة الرئيسية لقيام الدولة.. ويعتبر ابن خلدون بحق واضع علم الاجتماع ومؤسسه .

ولآراء ابن خلدون الاقتصادية صبغة عصرية كالتى لآرائه الاجتماعية والسياسية. فيشرح ابن خلدون مؤكدا أن الدولة هى أعظم التجار، فالدولة إذا كانت تاجرة صالحة متبصرة وجب أن تسلك من الطرق السديدة ما تروج به أموال الجبابة بين الناس مجددا، وتعد الضرائب الخفيفة أصلح مشجع على العمل .

* * *

ابن سلام، أبو عبيد القاسم. « الأموال »، صححه وعلق على هوامشه محمد حامد الفقى. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1934 م / 1353 هـ، 116 ص .

ولد أبو عبيد بمدينة هراة (سنة 150 هـ). وقد ولى قضاء طرسوس فترة من حياته، ثم قدم بعد ذلك إلى مدينة بغداد عاصمة الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت حيث أقام بها فترة ليست بالقصيرة، وتذكر بعض المصادر أنه حضر إلى مصر سنة 213 هـ وكتب بها، إلا أن الثابت أنه فى آخر سنى حياته توجه للحج و(توفى بمكة سنة 224هـ). ولأبى عبيد مؤلفات كثيرة أخرى لها قيمتها، منها: **كتاب غريب الأحداث**، وكتاب **معانى القرآن**، وكتاب **أدب القاضى**، وكتاب **النسب** .

ويعتبر كتاب «**الأموال**»من أحسن ما صنف أبو عبيد نظرا لدقته واتساع مدى بحثه، وغزارة المعلومات التى أوردها به. كما ترجع أهمية هذا الكتاب أيضا إلى أنه يبحث في التنظيم الاقتصادى الإسلامى وهو ميدان لم يطرقه كثيرون خلال العصر الذى عاش فيه، فكتُب الحوليات ومؤلفات المؤرخين لا تساعدنا كثيرا فى هذا الميدان، فجاء كتاب أبو عبيد مصدرا له قيمته فيما يتعلق بالتنظيم المالى للدولة الإسلامية طبقا للشريعة وللأحوال التى فرضتها ظروف الحياة فى ذلك الوقت بما يتفق مع روح الإسلام، ونلمح فيه روح الاجتهاد الحقيقى .

ويناقش أبو عبيد فى هذا الكتاب أنواع الإيرادات التى يوفرها النظام الإسلامى لخزينة الدولة أو بيت المال، كما كان يطلق عليه في ذلك الوقت،وحدد هذه الإيرادات ونسبها المختلفة حسب اختلاف أوضاع الأفراد الاجتماعية والاقتصادية، وعرض لتاريخ هذه الفروض التى فرضها الشرع على المسلمين منذ الفترة التى عاصرت حياة الرسول. كما ناقش موضوع الفىء والجزية وأحكام الخراج. ولم يقتصر أبو عبيد على دراسة جانب الإيرادات بل عالج موضوع النفقات وكيف توجه الإيرادات لتغطية النفقات مرتبة حسب أهميتها وحسب أصول الشريعة الإسلامية، كما أفرد أبو عبيد قسما من كتابه لدراسة الإقطاع ونظام القطيعة فى نظم ملكية الأرض، وعرض كذلك لموضوع الخمس وأنواعه المختلفة، وعالج موضوع العشور المفروضة على التجارات والأراضى، وميز بين المفروض منها شرعا والذى لا يحل فرضه .

* * *

ابن سينا، الحسين بن عبد الله. « أحوال النفس »، رسالة فى النفس وبقائها ومعادنها، تحقيق أحمد فؤاد الأهوانى، القاهرة، مطبعة الحلبى، 1952 م / 1372 هـ، 203ص .

ولد مؤلف هذا الكتاب (سنة 370 هـ) بأفشنة بالقرب من مدينة بخارى من بلاد ما وراء النهر. وكان دعاة الإسماعيلية كثيرى التردد على منزل أبيه، وتركوا لديه بعض

الانطباعات عن دراسة النفس والعقل. وما أن شب ابن سينا حتى درس الفقه والمنطق، الهندسة، علم النجوم، الطبيعيات، الإلهيات والطب، وتعمق فى العلم الأخير بدرجة كبيرة. وقد تأثر ابن سينا فى تفكيره الفلسفى بمصنف الفارابى الذي كان واعيا بآراء أرسطو وأفلاطون. وقد عين فى صدر شبابه فى مكتبة السلطان نوح بن منصور واستطاع بذكائه الخارق وسرعة فهمه أن يعى الجزء الأكبر مما فيها. وقضى ابن سينا بعد ذلك حياة حافلة بخدمة العلم وكتابة المصنفات (وتوفى سنة 428هـ) بمدينة همذان التى يوجد فيها قبره الآن.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب البارزة فى مؤلفات ابن سينا، وهو عبارة عن رسالة طبعت منها نسخ متعددة وقد قام الأستاذ محمد شهابى أستاذ جامعة طهران بطبعها عام 1315 هـ تحت عنوان « زوان شانسى شيخ الرئيس أبو على سينا ». أما النسخة التى عالجها المحقق فى الطبعة التى بين أيدينا فقد جلبها معه من بغداد سنة 1952 م وكانت مكتوبة باللغة الفارسية. وهناك نسخ أخرى من الرسالة فى مكتبة برلين ومكتبة بلدية الإسكندرية وغيرها .

وتحوى هذه الرسالة ستة عشر بابا، عرّف فيها ابن سينا النفس، وهو ينظر إلى الأجسام الطبيعية ويقسمها من جهة القوى الفعالة فيها إلى قسمين: قوى تعمل فى الأجسام بالتسخير، وأخرى تعمل بالقصد والاختيار. وقد ذكر أن الطبيعة اسم للقوة الفاعلة على سبيل التسخير وكذلك النفس النباتية، والنفس الحيوانية. أما النفس الإنسانية فهى فى رأيه اسم للقوة الفاعلة على سبيل القصد والاختيار .

وقد تكلم ابن سينا فى هذه الرسالة عن القوى النفسية، وفاعليات القوة المدركة من النفس وصلتها بالبدن. كما أنه تكلم بتركيز حول الأخلاق والأفعال. وطبيعى أن معرفة هذه النواحي لا بد وأن تقوم على معرفة أصول معينة هي معرفة النفس والبرهان على وجودها كوحدة لها كيانها الذاتى غير البدن. إلا أن ابن سينا لم يتعرض فى هذه الناحية للإحساسات والإدراك الحسى ولكنه عالج هذه النواحى فى فصول من كتاب الشفاء .

وقد أورد ابن سينا فى هذا الكتاب رأيا قل أن نصادفه فى كتبه الأخرى وهو أن

النفس لا تسمى كذلك إلا حين وجودها فعالة فى جسم من الأجسام، أما إذا فارقته فالأوفق أن تسمى العقل. وقد هدف المؤلف من هذه الرسالة إلى دراسة النفس الإنسانية، فاهتم بالقوى الباطنة وقدرات التخيل ومر سريعا على النفس الحيوانية والنباتية، كما ناقش أقسام النفس الإنسانية العاملة والناطقة ووظائف العقل العملى الذى يتسلط على البدن ويسوسه والعقل النظرى الذى هو فى رأيه قوة مطلقة موجودة عند كل شخص طفلا كان أم بالغا وعلى تجوهر العقل أو النفس العاقلة - ثم ناقش موضوع وجود النفس وتعلقها بالغا. وقد برهن المؤلف فى هذه الرسالة على أن: الإدراك العقلى ليس بآلة، وبقاء النفس فى البدن، والتناسخ، والنبوة، وعلاقة الخالق بالمخلوق، وتكلم عن اللذة وممارستها الحسية وغير الحسية .

* * *

ابن طباطبا، جلال الدين أبو جعفر محمد بن تاج الدين أبو الحسن على، « الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية »، القاهرة، مطبعة الموسوعات 1899 م/ 1317 هـ، 304 ص .

ابن الطقطقى أو ابن طباطبا كما يدعى أحيانا من الطبقة العشرين من أحفاد الخليفة على بن أبى طالب. وقد انحدر المؤلف من فرع الحسن وإبراهيم طباطبا واستوطنت أسرته بمدينة الحلة. ولد المؤلف (عام 660 هـ / 1262 م) وخلف والده فى زعامة العلويين فى الحلة والنجف وكربلاء وتنقل بين عدة بلاد مثل مراغة التى نزلها (سنة 696 هـ)، والموصل التى حل بها (سنة 701 هـ) حيث ألف الكتاب الذى نعالجه فى هذا التعريف .

وقد نشر كتاب« **الفخرى**» لأول مرة بواسطة أهلورت (جوته 1860 م) معتمدا فى ذلك على المخطوط الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس. وكان هذا هو المخطوط الوحيد المعروف من هذا الكتاب فى ذلك الوقت. وقد نشر المستشرقون أمثال جوردان، دي ساسى، هنزيوس، بتروبولى فقرات من هذا الكتاب، كما نشر شرينو هذه الفقرات مع ترجمة فرنسية لها فى المجلة الآسيوية. ويرجع الفضل فى إظهار الطبعة الثانية إلى هارتفج درينبورج .

وقد سمى الكتاب بالفخرى نسبة إلى من أهدى إليه، إذا أهداه ابن الطقطقى إلى فخر الدين عيسى عامر السلطان المغولى غازان على الموصل .

وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين: أولهما فى السياسة، وثانيهما موجز فى تاريخ الدولة الإسلامية. ويعرض المؤلف فى الفصل الأول لسياسة الملوك والحكام فى تدبير أمور الدولة والناس. وقد ناقش بن طباطبا أحوال عدد من الدول فى هذا الفصل وسياسة ملوكها مثل: دولة الأكاسرة (الفرس)، الدولة الأموية، الدولة العباسية،الدولة البويهية، الدولة السلجوقية. وتتبع خلال ذلك واجبات الحاكم ومدى اتساع نفوذه وتقلصه، وما يجب أن يكون عليه من صفات، وما تقتضيه الأحوال من تصرفات، وذلك كله فى صورة نصائح وتعليقات على أحوال الملوك والسلاطين .

أما الفصل الثانى فيعالج فيه المؤلف أحوال الدولة الإسلامية حتى نهاية عهد الخليفة المستعصم العباسى. وقد تعرض فيه لكيفية تدوين الدواوين فى نظام الحكم الإسلامى ثم تكلم عن الوزارة فى عهد بنى العباس وحدد مفهومها ووظيفتها، وتتبع أحوالها فى تلك الفترة مما يتيح المجال للدراسات المقارنة والتتبعية لمنصب الوزارة. وهناك حقيقة يجب أن نذكرها وهى أن ابن طباطبا مع أنه كان شيعيا إلا أن كتابه عموما كان منزها عن الغرض .

* * *

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر، « كتاب بغداد ». صححه محمد زاهد بن الحسين الكوثرى، القاهرة، مكتبة الخانجى 1949 م / 1369 هـ، 239 ص .

يدعى المؤلف أبو الفضل أحمد بن طاهر الماروذى بالكاتب، ويُعرف عند القدماء بأبى طاهر الكاتب والذى نعرفه أيضا باسم ابن طيفور،حيث إن والده كان يدعى طيفور. وقد ولد ابن طيفور (سنة 204 هـ) فى الوقت الذى دخل فيه المأمون بغداد قادما من خراسان وتوفى(سنة 280 هـ). والنسخة التى عالجها المحقق فى هذه الطبعة مأخوذة عن مصور شمسى للنسخة الخطية الوحيدة المحفوظة فى المتحف البريطانى فى لندن،وهناك عدة طبعات أهمها طبعة ليبزج (سنة 1908 م) ومعها ترجمة باللغة الألمانية لهنس كلر .

وطريقة المؤلف فى تسجيل الأنباء بهذا الكتاب تدعو إلى الاطمئنان إليها؛ لأنه يعدد الذين عنوا بتدوين أنباء ذلك الزمن. كما أنه يقول عند ذكره للأخبار التى أوردها ما اتفق عليه الرواة منها، أما إذا انفرد أحدهم بنبأ فإنه يذكر اسمه .

ويتناول الكتاب ببحث مستفيض عصر المأمون وهو يعتبر من أهم عصور الخلافة العباسية إن لم يكن أهم العصور الإسلامية على الإطلاق وذلك نظرا للانطلاق الفكرى والعلمى والسياسى (الديمقراطى) الذى حدث فيه. وكان المأمون فارسى الأم فسمح بتدفق المعارف الفارسية وبالتالى العلوم الإغريقية القديمة إلى الحضارة الإسلامية. وقد عالج ابن طيفور هذه المظاهر وتعرض للتغييرات التى أجراها المأمون لنظم الدولة المختلفة .

ومن أهم الجوانب التى عالجها المؤلف نظام أعطيات الجند الذى وضعه المأمون. وكذلك التعديلات التى أجراها فى المكاييل حرصا منه على مصلحة الناس وعدم استغلال التجار لهم. ومن أهم المكاييل التى أحدثها المأمون والوظائف الجديدة التى اهتم بها مثل: وظيفة أصحاب الجسر، ووظيفة مشرف الأخبار. وتكلم المؤلف كذلك عن إصلاحات المأمون التى أجراها فى نظام الشرطة .

والكتاب فى مجموعه مرجع مهم من مراجع الإدارة العباسية فقد أدى مهمة جليلة فى تصوير الأحوال السياسية والاجتماعية إلى جانب النظم الإدارية فأكمل الصورة التى أعطاها لنا مسكويه فى « تجارب الأمم »، الصابئ فى « تحفة الأمراء »، الشيرزى فى «نهاية الرتبة فى طلب الحسبة» .

* * *

الصابئ. أبو الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم. « كتاب تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ». بيروت، مطبعة اليسوعيين، 1904 ، 516 ص.

وقد ولد الهلال (سنة 359 هـ) وتوفى (سنة 448 هـ). والطبعة التى عالجها الناشر صححها المستشرق الإنجليزى آمدروز ووضع لها مقدمة باللغة الإنجليزية وفهرسا لأسماء الرجال وآخر لأسماء الأماكن .

وقد ذكر المؤلف أن هذا الكتاب قصد به أن يكون ذيلا لكتاب الوزراء لأبى عبد الله

محمد بن عبدوس الجهشيـارى وهو الذى جمع فيه أخبار الوزراء. وقصد الصابئ من وراء تأليفه كتاب **«تحفة الأمراء»** أن يذكر أخبار الوزراء ويشرح أحوالهم إلى نهاية أيامهم. ومحور الكتـاب ترتيب ولاية الوزراء لا ترتيب عهـود الخلفاء والأمـراء وقد جمـع به أحوال وزراء الدولة العباسية ومن تولى مثل وظيفتهم بالعراق وفارس والرى من كتاب الدولة البويهية .

وقد عالج الصابئ موضوع الوزارة فى هذا الكتاب مـعالجة موضوعية توحى بالدراسة الدقيـقة وتتيح الفـرصة لإجراء المقارنات. فـقد تكلم عن الوزارة فى عهـد آل الفرات وآل الجراح بإسهاب كبير وحدد معالم هذه الوظيـفة المهمة التى ظهرت فى العصر العباسى نظرا لاتساع مـجال الإدارة بعد أن كانت قـد اختفت منذ ظهـر الإسلام. وخلال كلامـه تعرض الصابئ لكافة التطورات التى حدثت فى هذه الوظيفة وفى الوظائف الأخرى المتصلة بها فى الدواوين. كمـا أبرز الصراع الذى كان مـوجودا بين موظفى الـدولة بشكل واضح وعرض سليم مما أدى إلى أن اعتـمد عليه الأسـتاذ هارولد باون فى كتـابه الذى أطلق عليه « **عصر على بن عيسى الوزير** » والذى نشرته جامعة كمبردج سنة 1928 م .

وقد زودنا هذا الكتـاب بصورة شاملة ودقـيقة للجهـاز الإدارى فى الدولة العباسـية وخاصة في عهد الخليـفة المقتدر وأوضح علاقة هذا الجهاز بالشـئون المالية وأوضح تأثير كل من النواحى الإدارية والمالية على الأخرى وخاصة فيما يتعلق بمطالب الجند والنفقات الباهظة التى كانت تخصص لدفع عطاياهم مما أخل بالميزان الموجود بين الإيرادات والنفقات .

* * *

الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد. «إحياء علوم الدين». القاهرة، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، 1356 / 1357 هـ، 4 جـ .

ولد الغزالى ببلدة طوس بخراسان(عام 450 هـ / 1058م)وقد ولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وتنقل فى كثير من البلاد الإسلامية، فرحل من بغداد إلى الحجاز وتوجه إلى الشام وأقام بدمـشق مدة ثم انتقل إلى بيت المقدس حـيث عاش فيها نحـو عشر سنين ألف فيها كثيرا من الكتب منها كتاب « **إحياء علوم الدين** » وقد زار مصر وأقام بالإسكندرية حينا

من الزمن ورجع إلى بغـداد ومنهـا إلى خراسـان حيث ولي مـرة ثانيـة التدريس بالمدرسـة النظامية فى نيسابور ثم عاد إلى بلدته طوس حيث توفى بها (عام 505 هـ / 1111 م) .

ويعتبر الغزالى من أعظم عـلماء وفلاسفة الدولة الإسلامية وله مؤلفـات كثيرة منها: **«تهافت الفلاسفة»** و **«مقاصد الفلاسفة»** و **«المنقذ من الضلال»**. . . إلخ ولكن من أنفس كتبه كتاب «إحياء علوم الدين » وقد نشر فى عدة طبعات منها طبعة بولاق عام 1853 .

ويشتمل هذا الـسفر الضخم على تجربة حـياة الغزالى فى التعليم والفـلسفة والدين، وقد قام هذا الكتاب على الوحى والسنة ولا سيمـا تدين المؤمن الفطرى وشعور التقوى فيه لا الاستدلال الفلسفى اللاهوتى، ويتعرض الغزالى فيه للفلسفة والتعليم وعلم النفس وعلم الكلام .

وينقسم كتـاب الأحياء إلى أربعة أقسـام رئيسية هى: قـسم العبادات: فيذكـر فيه من خفـايا آدابها ودقائق سـننها وأسرار مـعانيهـا كل ما يحتـاج العالم إلى مـعرفتـه من وجوه الإخلاص فيها وإقامتها على الأسس التى يحـبها الله سبحانه ورسوله، وقد صدر هذا القسم بكتاب العلم والقـسم الثانى: قسم العادات، يذكـر فيه أسرار المعامـلات الجارية بين الخلق وأغوارها ووقائـعها. والقسم الثـالث: للمهلكات وهى الأخلاق المذمومـة التى ورد القرآن بتطهيـر القلب منها. يعّرف: بهـا ويذكر أسبـابها وما ينشـأ عنها من مضـار، ثم يذكر طرق العلاج منهـا، أما القسم الرابع والأخيـر: فللمنجيات يذكر فـيه كل خلق محمـود ويشرح الوسائل التى يكتسب بها والثمار التى تجنى من التخلق به. وقد رتب هذه الأقسام إلى كتب وانقسمت الكتب إلى أبواب والأبواب إلى فقرات.

وقد وضع الغزالى فى كتابه نظامـا تربويا كاملا معتمدا على أن التربية نتيـجة حتمية للفلسفة، فإن الفـيلسوف يعمل على نشر مذهبه ومبـادئه التى يدين بها، وقد رسم الهدف التربوى وفق نظرته للحياة ومـا فيها من قيم أى وفقا لفلسـفته ثم وضع المنهج العلمى الذى رآه مقياسا لتحقيق هدفه وغرضه من التـربية، فصنف العلوم وقسمها وبين فوائدها للمتعلم ثم رتبها ونظمها حسب أهميتهـا وفائدتها ثم بين المبادئ التى يجب أن يسير عليها المعلم فى

أثناء تأديته لوظيفة التعليم والتهذيب .

وكان الغزالى فى كتابه أيضا عالما سيكولوجيا، فقد أدخل على دراسة النفس ووظائفها الشيء الكثير من التعديل وسلك سلوكا جديدا يختلف عن سلوك من سبقه من العلماء؛ فاهتم بالجانب العملى من الحياة النفسية وأخضع علم النفس للقياس المنطقى، فكان بذلك باحثا سيكولوجيا يستشف أغوار النفس الإنسانية على النحو الذى يفعله علم النفس الحديث حين يدرس الظواهر النفسية. واستطاع الغزالى أن يجمع عددا كبيرا من الملاحظات المتعلقة بالنفس والتجارب الشخصية التى حصلت له وللآخرين، كما تعرض للعواطف والانفعالات وحللها تحليلا عميقا. وعنى الغزالى أيضا بالسلوك الفردى والاجتماعى فكان عمله بحق بداية ومقدمة لأسس علم النفس الحديث .

* * *

الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان. « آراء أهل المدينة الفاضلة ». بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1959 م .

يعتبر الفارابى من كبار الفلاسفة المسلمين ويعد أيضا من علماء السياسة والاجتماع وقد عرف الفارابى بالمعلم الثانى باعتبار أن أرسطو المعلم الأول. وولد بمدينة (فاراب) من بلاد تركستان عام(259 هـ / 872 م) وقد نسب إلى موطن رأسه هذا. وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها وألف أكثر كتبه ورحل إلى مصر والشام. وكان الفارابى زاهدا فى زخارف الحياة يميل إلى الانفراد بنفسه. وقد توفى بدمشق عام 339 هجرية (950 - 951 م). ويعتبر الفارابى المؤسس الحقيقى للدراسات الفلسفية فى العالم الإسلامى والمنشئ الأول للفلسفة الإسلامية. وقد ألف أكثر من مائة كتاب منها كتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة» وقد طبع المستشرق الألمانى ديتريتشى هذا الكتاب لأول مرة عام (1895) بمطبعة بريل بمدينة ليدن بألمانيا. ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات فى القاهرة وبيروت .

وقد وضع الفارابى فى رسالة « **آراء أهل المدينة الفاضلة** » مذهبه الفلسفى السياسى كله مما يتعلق بآرائه فى الإلهيات والنفس الإنسانية وفى الأخلاق والسياسة وقسم كتابه إلى

قسمين. قسم بدأ به ولخص فيه المبادئ الفلسفية التى يدين بها والتى سيراعيها إلى حد ما فى إنشاء مدينته، وقسم ختم به كتابه وشرح فيه شئون هذه المدينة وما ينبغى أن تكون عليه فى مختلف فروع حياتها .

ويعتمد الفارابى على المبدأ الأفلاطونى القائل أن الناس خلقوا ليعيشوا جماعة وينتهى إلى النتيجة القائلة إن من واجبات الدولة الكاملة التكوين أن تشتمل على جميع الأرض العامرة وعلى جميع البشرية. وقد عالج البحث فن السياسة من الناحية الفلسفية الخالصة. فالتفكير السياسى فى نظام الدولة وتصور المثل الأعلى للحكم ووضع المقاييس السياسية وتحديد الغاية من الحكم والمحكوم، ونقد المجتمع الذى يؤدى إلى الشرور والمفاسد.كل هذا من الوسائل التى انفرد بها الفارابى بالبحث فيها والتى تدل على قوة الشخصية واستقلال الرأى .

والمدينة الفاضلة اسم أطلقه الفارابى على المثل الأعلى للحكم ويريد به المدينة التى تحقق لأعضائها السعادة القصوى فى الدنيا والآخرة. وقد كانت وظيفة القيادة أو الرياسة أهم وظائف المدينة الفاضلة وأكبرها أثرا فى رأى الفارابى. وذلك لأن رئيس المدينة هو السلطة العليا التى تُستمد منها جميع السلطات. فهو مصدر حياة مدينته وقوام نظامها. لذلك لا يصلح للرياسة إلا من زود بصفات فطرية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين. . هذه هى نفس الصفات فى القائد أو القيادة بصفة عامة فى أى مجتمع متمدن حديث .

* * *

القابسى، أبو الحسن على بن محمد بن خلف. « رسالة أحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ». فى: « التعليم عند القابسى »، تأليف أحمد فؤاد الأهوانى. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945 م / 1364 هـ، من ص 241 إلى ص 318 .

مؤلف هذه الرسالة هو أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافرى المعروف بابن القابسى. وقد ولد فى مدينة قابس التى تقع بين طرابلس وسفاقس(سنة 324 هـ) وتوفى

(سنة 403 هـ). وقد رحل المؤلف خلال حياته إلى المشرق ثم عاد إلى القيروان. وكان حافظا للحديث عالما زاهدا وله كتب كثيرة قيل إنها بلغت خمسة عشر كتابا منها: كتاب **الممهد فى الفقه**، كتاب **الاعتقادات**، كتاب **البعد عن شبه التأويل** وغير ذلك كثير .

ويعتبر هذا الكتاب من أهم المؤلفات الإسلامية التى عالجت موضوع التربية كما أنه يعتبر من أندرها؛ نظرا لأن كاتبه من سكان المغرب الإسلامى وهو يعالج بذلك نظريات التربية الإسلامية عامة. ويتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء: تكلم القابسى فى الجزء الأول منها عن فضائل القرآن وشروط قراءته وأماكنها، أما الجزء الثانى فهو يمس العملية التعليمية بطريقة مباشرة؛ فيناقش موقف الوالد الذى لا يعلم ابنه، ويعتبر هذا موضوعا هاما حيث إن التعليم الأولى كان يقع على عاتق الأب فى ذلك الوقت ولم يكن هناك دافع إلى تعليم الأبناء سوى الشعور بأهمية العلم وكان هذا مرتبطا فى أذهان الناس بالمقدرة على قراءة القرآن وحفظ نصوصه .

وقد تكلم القابسى عن الأماكن التى يتعلم فيها الصبية « الكتاب »، كما تكلم أيضا عن تعليم الأنثى، ورأى فى هذا المجال أن يقتصر تعليمها على العلوم المفيدة كعلوم الدين واللغة فى رأيه كما ناقش آراء الفقهاء فى جواز التدريس لقاء أجر معلوم وخاصة فيما يتعلق بتدريس العلوم الدينية. وتكلم المؤلف أيضًا عن منهج التعليم فى ذلك الوقت وفروعه كالكتابة والخط والإعراب والقراءة .

وقد عالج القابسى موضوعا هاما من مواضيع العملية التعليمية فتكلم عن العلاقة بين المدرسين والتلاميذ وموضوع العقاب وتحدث عن الضرب. كما اشترط المؤلف تكافؤ الفرص بين الصبية فى التعليم وتعرض لطرق تهذيب التلاميذ فى المدرسة وتنظيم علاقتهم مع بعضهم .

أما الجزء الثالث فيناقش فيه القابسى موقف المعلم من العملية التعليمية وواجباته نحوها لكى تتم بصورة سليمة كما ذكر عدة أمور متفرقة عن اختيار مكان العملية التعليمية وانتقالها من مكان إلى آخر وعلاقة المدرس بالآباء وغير ذلك .

اختبارات تطبيقية

المراجع العربية العامة والتراث

الاســـم : ....

المجموعـة : ....

المسلســل : ....

الاختبــار الأول

س 1 : يعتب كتاب الفهرست من الكتب التى تساعد الباحث فى التعرف على . . (أكمل)

....

....

....

س2 : من كتب المراجع فى مجال الغة والمعاجم : ....

....

....

س 3 :لتاريخ التراث العربى أهمية خاصة وهى :..

....

....

الاختبار الثانى

س1 :حدد ثلاثة من كتب المراجع فى مجال التراجم:

1- ....

2- ....

3- ....

س2 :يمكن التعرف على الكتب المترجمة حتى نهاية القرن الرابع للهجرة من

المرجع التالى ....

....

س3 :أهمية مفتاح السعادة ترجع إلى :.

1- ....

2- ....

3- ....

الاختبار الثالث

س1: حدد ثلاثة من كتب المعاجم العربية: ....

....

....

س2 : مؤلف معجم «العين» هو: ....

وأهميته ترجع إلى :

1- ....

2- ....

3- ....

س3 :أدلة مراجع التراث هي :

1- ....

2- ....

3- ....

س4 :حدد ثلاثة من كتب المراجع في مجال القرآن والحديث النبوى والمطبوعات:

1- ....

2- ....

3- ....

الاختبار الرابع

س 1 : كيفية استخدام الصحاح للجوهرى هى :

....

....

....

س 2 : توفى ابن النديم فى : ....

وطريقة تنظيم الفهرست هى : ....

....

س 3 :طريقة تنظيم مفتاح السعادة هى : ....

....

س 4 : يمكن الوصول إلى المعاجم وأنواعها من : ....

....

الاختبار الخامس

س 1 : المقصود بالمراجع هو : ....

....

....

س 2 : أهمية المراجع العربية هي :

1- ....

2- ....

3- ....

س 3 : من المراجع التي تعرف بالمطبوعات العربية :

1- ....

2- ....

3- ....

المراجع العربية العامة والتـــراث

هذا الكتاب

إن المراجع العربية كثيرة تغطى جميع العلوم والمعارف بآلاف الكتب وبمئات المؤلفين والمصنفين .

وهذا الكتاب إذ يقدم لمجموعة من هذه المراجع عرضاً وتحليلاً إنما يقدم أنموذجاً لثراء هذه المراجع؛ عسى أن يكون فى هذه المحاولة ربط الإنسان العربى بتراثه الغنى اعتزازاً وإقبالاً واقتناء .

إن هذا الكتاب يصلح كمقرر دراسى فى كليات التربية والآداب ـ قسم المكتبات ولكل من يهتم بهذا الموضوع .

الناشـــر

International Publishing & Dist. House
Cario - Egypt

I.S.B.N : 977-282-039-0